المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ جمادا اول سنة ١٣٣١

رجل السيف ورجل المال

ولسلي ومورغان

قضى في الشهر الماضي رجلان عظيمان رجل سيف ورجل مال . وما كل رجل سيف يُترجَم في المجلات ولا كل رجل مال يُعنى الكتّاب بذكره . لكن الفقيدين فاقا الاقران المرشال ولسلي اصلح الجندية الانكليزية فاستحق مقاماً سامياً بين قواد الجيوش وبذلك يبقى اسمهُ مذكوراً . وبيربنت مورغان الّف بين الشركات المتناظرة فقلّت نفقات العمل وكثر ربح العمال فصار لهُ المقام الاسنى بين اغنياء الارض . و يشترك هذان الرجلان في انهما لم ينبغا من العدم كاكثر المشاهير بل جرى كلٌّ منهما في خطة والدهِ ولكنهُ فاقهُ بمراحل كثيرة فوالد ولسلي كان ضابطاً في الجيش ووالد مورغان كان صرافاً كبيراً

المرشال ولسلي

Field Marshal Viscount Wolseley

قال احد مترجميهِ « ان تاريخهُ هو تاريخ الجيش الانكليزي بعد دوق ولنجتون » ولعل ذلك اعظم مدح يمدح بهِ قواد الجيوش

ولد في الرابع من شهر يونيو سنة ١٨٣٢ فتوفي في الثمانين من عمرهِ . وابوهُ الماجور غارنت ولسلي من نسل الانكليز الذين هاجروا الى ارلندا منذ سنين كثيرة و بلغوا مراتب الاشراف فيها . درس في دبلن عاصمة ارلندا وانتظم في الجيش وعمرهُ ١٩ سنة وحضر حروب برما والقرم والهند والصين والاشنتي ومصر والسودان وابل فيها كلها بلاءً حسناً بل فعل ما هو خير من ذلك وهو انهُ اخمد بعض الثورات بالتهديد من غير حرب كما حدث في حملتهِ على ريل في كندا سنة ١٨٧٠ . وهو قائد الحملة التي تغلبت على عرابي في التل الكبير وكانت

الحد الفاصل بين العهد القديم والعهد الحديث في تاريخ هذا القطر. وقد اشرنا الى ذلك حينما وقفنا اول مرة امام التل الكبير وقلنا

مدافن المفتدين الاهل والوطنا ولا ضريحاً ولا لحداً ولا كفنا
ايعلمُ القومُ ممَّن زرعهُ نضرٌ والنيل يسقيهِ لا منًّا ولا ثمنا
والعدلُ والكل في قسطاسهِ شرعٌ لا يظلمون بهِ سرًّا ولا علنا
أنَّ الدماء التي التلُّ الكبير سقت محت مظالم فاوى عهدُها الزمنا

والذين تتبعوا الثورة العرابية من اولها الى آخرها ظهر لهم ان الجيش الانكليزي نزل في الاسكندرية اولاً وناوش جيش عرابي في ضواحيها ولما رأى انهُ لم ينل منهُ منالاً انقلب الى الاسمعيلية. ولكن الحقيقة غير ذلك فان خطة السير الى القاهرة بطريق الاسمعيلية هي الخطة الاولى التي اشار بها ولسلي بتقرير وضعهُ في ٣ يوليو سنة ١٨٨٢ لانهُ كان يعلم صعوبة الزحف من الاسكندرية على القاهرة من الجهة الغربية بطريق وردان لان الرمال هناك ناعمة تعيق سير الجنود ففضَّل ان يكون السير من الشرق بطريق الاسمعيلية والزقازيق لان الرمال هناك خشنة غير متخلخلة. وقد ناوشت جنودهُ الجنود المصرية في ضواحي الاسكندرية وكفر الدوار من باب التعمية . ووصل هو الاسكندرية في ١٥ اغسطس ثم اقلع منها في ١٩ منهُ واحتلَّ ترعة السويس في اليوم التالي وجعلها قاعدة لاعمالهِ وكان قد استدعى بعض الجنود الهندية لنجدتهِ فلما وصلت سار بها الى القصاصين في ٩ سبتمبر واخرج منها الجنود المصرية التي أُرسلت اليها لمقاومتهِ فيها ولما اكتمل جيشهُ هناك وهو نحو ستة عشر الفاً زحف بهِ على التل الكبير فاستولى عليهِ في نحو نصف ساعة من الزمان . ووصل فرسانهُ الى القاهرة ظهر اليوم التالي . وتمَّ النصر لهُ كما قدَّرهُ ولم يُقتل من رجالهِ سوى ١٠ من الضباط و٧١ من « الانفار » وجرح منهم ٤٣ ضابطاً و٥٢٣ نفراً . ولما عاد الى انكلترا اعطتهُ الحكومة الانكليزية ثلاثين الف جنيه هبةً وأُعطي رتبة جنرال وجُعل من اشراف المملكة

ولا يمكن الحكم البات بما كان يمكن ان تكون حال الديار المصرية الآن لولا مجيء ولسلي اليها وفوز جنودهِ فيها ولا هذا محل النظر في ذلك

لكن فوزهُ في حروبهِ وابلاءهُ في خصومهِ لا يمتازانهِ على غيرهِ من القواد الكبار وانما الذي امتاز بهِ اصلاحهُ للجندية الانكليزية فاولاً وضع كتاباً صغيراً عدَّد فيهِ ما يجب على الجندي فتلقَّفهُ الجنود وضباطهم دليلاً في اعمالهم وقد مضت السنون وهذا الكتاب يطبع سنة بعد اخرى و يعتمد عليهِ الجنود والضباط كانهُ احد لوازمهم فيستفيدون منهُ اكبر فائدة

وثانياً اعان المستر كاردول وزير الحربية الانكليزية في اصلاح الجندية بوجه عام . فان المستر كاردول جُعل وزيراً للحربية سنة ١٨٦٨ والحال اهتمّ بتقوية شأن الجيش البريطاني فجمعهُ في بريطانيا وطلب من المستعمرات ان تقيم الجيوش لنفسها وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط تقضي السنوات الخمس او الست الاخيرة منها في الرديف وكان ولسلي قد اشتهر بانهُ افقد القواد الاحداث فاستعان بهِ على اجراء ما يريدهُ من الاصلاح . وكانت وظائف الضباط تباع وتشترى علناً فالغى ذلك ووجد في الغائهِ مشقة عظيمة لان مجلس الاعيان لم يصادق على قرار مجلس النواب في هذا الشأن ففشلت الوزارة ولكنها جعلت الملكة تؤيد الالغاء بامر خاص . ثم اعاد تنظيم الجيش وجعلهُ فرقاً خاصة وجعل انواعهُ كلها تابعة لنظارة الحربية وانشأ قلم المخابرات سنة ١٨٧٣ فصار لهُ الشأن الاكبر في الادارة الحربية . وللوزير كاردول الفضل الاول في هذه الاصلاحات لانهُ اول من انتبه لها ولانهُ استعان بالجنرال ولسلي على تحقيقها ولكن فضل ولسلي فيها لا ينكر لانهُ كان الفاعل الاكبر في اقتراحها واجرائها

وكانت وفاتهُ في ٢٥ مارس ودفن في ٣١ مارس في كنيسة مار بولس مدفن عظماء القواد

بيربنت مورغان
Pierpont Morgan

اما بيربنت مورغان فمعروف عند كثيرين من سكان هذه العاصمة لا سيما وانهُ اقام فيها هذا الشتاء قبل ان ذهب الى رومية حيث وافتهُ منيتهُ ظهر الحادي والثلاثين من شهر مارس الماضي . وقد ترجمناهُ منذ احدى عشرة سنة وقلنا فيهِ ما يأتي

« هو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبهِ حيث يدير اشغالهُ الكثيرة مفصولاً عن الكتاب الذين في خدمتهِ بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروهُ واذا دخل عليهِ وزير فايلهُ كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يختار في حديثهِ الكلمات الرجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلة لا ويلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل بات الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة روكفلر ولا ثروة كارنجي ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما . وقد اثرى اكثر منهُ لان جانباً كبيراً من ثروتهما اتاها عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فانى ثروتهُ بجده وحسن نظره في العواقب

«كان ابوهُ صانعاً عند فلاّح ثم صار كاتباً عند بائع منسوجات و بقي كذلك الى ان صار عمرهُ ٣٨ سنة وخطر لهُ حينئذٍ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوستن واشتهر باجتهادهِ واستقامتهِ فاتسعت اشغالهُ رويداً رويداً وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق بهِ معاملوهُ ثقةً تامةً لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم . واقتصر على ما يسمّى باشغال البنك القانونية وزادت اشغالهُ بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار لهُ المقام الاول بين الماليين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وتعرّف فيها بالمستر بيبدي المشهور بغناهُ ومبرّاتهِ فقدرهُ بيبدي قدرهُ وعرض عليهِ ان يشاركهُ في اعمالهِ المالية فزادت تلك الاعمال نجاحاً وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال و بذل جهدهُ في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيو يورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية . ولما عاد الى نيو يورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم واولم لهُ كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضلهِ عليهم و يقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

« ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيهِ وتدرّب عندهُ على المعاملات المالية وتوفي ابوهُ سنة ١٨٩٠ فاستقلّ بادارة اعمالهِ ووسّع نطاقها بهمتهِ واشتهر باصالة الرأي والحزم في الاعمال . قيل جاءهُ رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم لهُ باغلى ثمن لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ . وجعل يحدث نفسهُ بما يقولهُ وما يجيبهُ المستر مورغان بهِ حتى لم يبقَ عندهُ ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جدًّا لهُ فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمهِ وجلس ينتظر الى ان عيل صبرهُ واخيراً خرج مورغان اليهِ وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فامضى الرجل البيع ولم يفه بكلمة

« وقال احد المعاصرين جئتهُ يوماً لاقترض منهُ مليوناً من الريالات على ضمان ولم اكن اعرفهُ ولا كان يعرفني فتفرّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال « نعم » واشار الى احد شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب . فامضى في ربع دقيقة عملاً ماليًّا كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيهُ في اسبوع

« واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى تزول المناظرة من بينها وتقلّ نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمان من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه . واهم هذه الشركات شركة كارنجي وكان لكارنجي

في شركته ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يتملكهُ فيها ٢٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمَّ لهُ ذلك لم يتعذَّر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما جعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو ستين مليون جنيه وكان هذا الرفع حقيقياً لا وهمياً لان ارباحها زادت مليونين ونصف مليون من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيء . وغني عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير ولم نقف على مقدارها ولكنها لا تقلُّ عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئاً من عمل الفولاذ

« وقد تدرَّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربهُ في عظمتهِ وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه فانهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفَّر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضمَّ الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرَّف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجري وبلغ ربحهُ من ذلك كلهِ ما اشرنا اليهِ قبلاً . ذلك انهُ ورث عن ابيهِ مليونين من الجنيهات فصيرها ثلاثين مليوناً في بضع سنوات . ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

« وهو من كبار المحسنين دفع ٣٠٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك و٢٠٠ الف جنيه لدار البحث البيولوجي في جامعة هارفرد و١٠٠ الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

« ولهُ ولع شديد بجمع التحف فابتاع صورة من تصوير غاينسبرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة « دوقة ديفنشير » وابتاع صورة أخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم . وكنا اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في تورمندي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى

لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكني اريد ان اشتريهُ فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيهِ بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها . انتهى »

ويقال ان التحف التي جمعها من صور وبسط وادوات ذهبية وفضية وما اشبه تساوي عشرين مليوناً من الجنيهات

ولا يعلم مقدار ثروتهِ تماماً فالذين يبالغون فيها يوصلونها الى اربعين مليوناً من الجنيهات والذين يخسونها يحطونها الى عشرة ملايين . ولكن ان اختلف المقدرون في تقديرها فهم لا يختلفون في ان اصحاب الف ومئتي مليون من الجنيهات وضعوا اموالهم كلها في يدو ليتولى ادارتها فهو من هذا القبيل اقدر مالي قام في الدنيا حتى الآن

لما حدث الضيق المالي سنة ١٩٠٧ اشتدَّ في نيو يورك حتى هدد البلاد بخراب عام وجعل الذين عندهم اسهم وسندات يعرضونها للبيع ولا من يشتري لقلة النقود المتداولة . وطلب بعضهم ان يستقرضوا ويدفعوا فائدة بمعدل ستين في المئة في السنة فلم يجدوا من يقرضهم فذهب المستر طوماس رئيس بورصة نيو يورك الى المستر مورغان وطلب منهُ ان يفرج ضيقة الناس وهاك ترجمة ما قالهُ في هذا الصدد منقولاً عما شهد بهِ في العام الماضي امام قاضي التحقيق قال « قلت للمستر مورغان لقد عزَّت النقود واعضاء جمعية البورصة يحتاجون الى خمسة ملايين من الجنيهات . وبعد ما تذاكرنا بضع دقائق قال لي انهم سيُعطَون خمسة ملايين فعدت الى البورصة وقلت لاعضاء الجمعية ان النقود ستأتينا حالاً . وبعد خمس دقائق جاءت النقود وزالت الازمة فان البنوك التي يتولى المستر مورغان ادارتها فتحت ابوابها وللحال انخفضت الفائدة السنوية الى ستة في المئة ثم الى ٣ في المئة »

وهذه ليست اول ازمة فرَّجها في سنة ١٨٩٣ اشتدَّ الضيق على خزينة الحكومة الاميركية لكثرة صدور الذهب من البلاد وخيف من وقوف الاعمال فرأس لجنة من الماليين واشترى ما يساوي ١٢ مليون جنيه من سندات الحكومة دفع ثمنها ذهباً فانفرجت الازمة حالاً

والبنك الذي انشأهُ هو وشريكهُ طوماس منذ ثلاثين سنة كان رأس مالهِ مئة الف جنيه فبلغت ارباحهُ في هذه الثلاثين سنة ١٨ مليوناً من الجنيهات اي ان الجنيه الواحد ربح ١٨٠ جنيهاً

قوات الدول البحرية

اصدرت نظارة البحرية الانكليزية مساء ٢٠ مارس الماضي احصاء رسميًا بما كان لكل من انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا والنمسا والولايات المتحدة واليابان — وهي الدول البحرية الكبرى — من السفن الحربية في اول يناير الماضي مغفلة فيه ذكر البوارج والطرادات المدرعة التي مضى على تاريخ انزالها الى البحر اكثر من عشرين سنة . وهذا بيان ذلك

بوارج مبنية — لانكلترا ٥٥ ولفرنسا ٢١ ولروسيا ٩ ولالمانيا ٣٣ ولايطاليا ٩ ولنمسا والمجر ١٣ وللولايات المتحدة ٣٣ ولليابان ١٧

بوارج تحت البناء — لانكلترا ١١ ولفرنسا ٧ ولروسيا ٧ ولالمانيا ٧ ولايطاليا ٥ ولنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٤ ولليابان بارجة واحدة

سفن خفر السواحل — ليس لانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا والمجر واليابان سفن من هذا الصنف ولفرنسا ست منها ولروسيا واحدة فقط وللولايات المتحدة تسع سفن

طرادات مدرعة — لانكلترا ٣٤ ولفرنسا ٢٠ ولروسيا ٦ ولالمانيا ٩ ولايطاليا ٩ ولنمسا والمجر ٤ وللولايات المتحدة ١٤ ولليابان ١٣ وليس لاحداهن طرادات من هذا الصنف تحت البناء

طرادات مدرعة نصف تدريع — لانكلترا ثمانية من هذه الطرادات تحت البناء وليس لسائر الدول شيء منها لا مبني ولا تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثانية — لانكلترا ٣٨ عدا عن طرادات تستخدمها لقضاء مصالح مستعمراتها، ولفرنسا ٤ وليس لروسيا سفن منها ولالمانيا ٣٠ ولايطاليا ٢ ولنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ١٥ ولليابان ١٣

طرادات محمية من الدرجة الثانية تحت البناء — لانكلترا ٧ ثلاثة منها تبنى للخدمة البحرية في استراليا ولالمانيا ٤ ولايطاليا طراد واحد ولروسيا طرادان وليس للولايات المتحدة واليابان سفن منها تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثالثة — لانكلترا ١٥ ولمستعمراتها طراد واحد ولفرنسا ٥ ولروسيا طرادان ولالمانيا ١١ ولايطاليا ١١ ولنمسا والمجر ٣ وليس للولايات المتحدة سفن منها ولليابان اربعة طرادات من هذا الصنف

طرادات محمية من الدرجة الثالثة تحت البناء — لايطاليا اربعة طرادات وليس لسائر

الدول سفن منها تحت البناء

طرادات غير محمية — لانكلترا ٥ ولالمانيا ٤ ولفرنسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٣ ولليابان اربعة وليس لفرنسا وروسيا وايطاليا سفن منها

طرادات غير محمية تحت البناء — لانكلترا طرادان وليس لسائر الدول سفن منها تحت البناء

كشافات — لانكلترا ٨ ولايطاليا كشافة واحدة وللولايات المتحدة ٣ وليس لسائر الدول شيء منها

كشافات تحت البناء — لايطاليا كشافتان وليس لسائر الدول شيء منها تحت البناء

سفن طوربيد — لانكلترا ٢٨ ولفرنسا ٤ ولروسيا ٣ وليس لالمانيا شيء منها ولايطاليا ٣ وللنمسا والمجر ١١ وللولايات المتحدة سفينتان ولليابان ٣ سفن

سفن طوربيد تحت البناء — لانكلترا سفينة واحدة وليس لسائر الدول شيء من ذلك تحت البناء

مدمرات — لانكلترا ١٩١ منها ثلاث لاستراليا ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٩٦ ولالمانيا ١٢٤ ولايطاليا ٢٣ وللنمسا والمجر ١٢ وللولايات المتحدة ٤٦ ولليابان ٥٩

مدمرات تحت البناء — لانكلترا ٣٨ ولفرنسا ١١ ولروسيا ٩ و٣٦ اوصت بها ولم يبدأ ببنائها بعد ولالمانيا ٩ ولايطاليا ١٠ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٤ وليس لليابان شيء من ذلك تحت البناء

نسافات من الطرز الجديد — لانكلترا ٣٦ نسافة وليس لسائر الدول نسافات من هذا الصنف

نسافات عادية من جميع الاصناف — لانكلترا ٧٣ ولفرنسا ١٦٦ ولروسيا ٢٦ ولالمانيا ٨٠ ولايطاليا ٧٧ وللنمسا والمجر ٧٠ وللولايات المتحدة ٢٢ ولليابان ٥٠

غواصات — لانكلترا ٦٥ ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٢٩ ولالمانيا ١٨ ولايطاليا ١٢ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٢٥ ولليابان ١٣ غواصة

غواصات تحت البناء — لانكلترا ٢٢ اثنتان منها لاستراليا ولفرنسا ٨ ولروسيا ٨ ولالمانيا ١٤ (وقد يمكن ان تكون قد اوصت باكثر من ذلك) ولايطاليا ٨ وليس للنمسا والمجر شيء منها تحت البناء . وللولايات المتحدة ٢٢ منها ثمان لم يشرع في بنائها بعد ولليابان غواصتان اثنتان . هذا وقد اوصت روسيا ببناء اثني عشرة غواصة قريباً

الاخلاق

(تابع ما قبلهُ)

٥

قد اتضح لكم آنفاً ان العوامل الاجتماعية تؤثر في الاخلاق مثلما تؤثر عوامل الاقليم اي الحر والبرد في الحيوان وفي ما هو حيواني في الانسان . بقي علينا ان ننظر خصوصاً في ما يحط الاخلاق ويفسدها فنحمد في سبيل المجد والعلى ولا ينشط صاحبها الى نصرة ما فيهِ اقامة حق او ارهاق باطل . ولا يطمح الى مأثرة ولا تسمو الى منقبة همتهُ . بل يغضي على الضيم خاملاً وقد رتع المذلة والاستعباد . وان عبداً لعاداتهِ الذميمة لكمثل عبد الحكومة الاثيمة . ففي الغرب كما في الشرق مذاهب وعقائد وتعاليم تذهب بالبأس والمنعة والشجاعة والاباء فتطفئ في المرء نور التبصير . وتجدر منهُ الحس والشعور . وتفقد فيهِ الارادة الا في سبيل الاباطيل والمنكرات . احقاً ان الغاية القصوى من الحياة ان ينجح الانسان في عملهِ مهما كان وكيفما كان ؟ على رسلك ايها المتكالب في سبيل المال العابث بما في الحياة من جوهر الكمال . ان في الحقول وفي الحراج وفي المناجم ما في السماء وفي البحار وفي النفس البشرية من جمال . لا يوزن منهُ للتجار ولا يكال . وانت ايها الزعيم زعيم العمال . سمعت اناساً يقولون انك تتاجر بالفقر والفقراء فتمسي غنياً . وانتم ايها الباسلون المؤمنون بمن لا يصدقون يتحذون فيكم الغرائز ويغرون عليكم الاسياد . والى غاياتهم على بؤسكم يسيرون

« وما انخفضوا كي يرفعوكم وانما رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا »

وسيدي صاحب الدولة والرتب العالية ان دستورهُ « كتاب الامير » رأيناهُ يتخذهُ دستوراً لاعمالهِ واقوالهِ . (« وكتاب الامير » لمكيافلي ايها السادة يعلم الكذب في السياسة والمكر والغدر والسفسطة والرياء)

قال الكردينال ريشليو في وصيتهِ السياسية ان الحاكم لا ينبغي ان يولي صاحب الشرف والوجدان . وفي كتبنا العربية التي تعلم الملوك والسوقة السلوك كثير من هذا . وان نصيحة ريشليو لتذكرني بما قالهُ عمر عند ما عزل زياد بن ابي سفيان قال زياد : لمَ عزلتني يا امير المؤمنين أعجز ام لخيانة ؟ فقال عمر : لم اعزلك لواحدة منهما ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك عن الناس

فالشرف والكياسة والذكاء والوجدان عيوب في صاحب السياسة غربياً كان او شرقياً الاَّ اذا استخدمت في المصانعة والكذب والمكر والخداع

على ان الشرقيين قد لا يرون سيفي مدنية اوربا غير آفات افضتُ فيها في خطاب لي سبق فينفرون منها بل ينبذون من اجلها المدنية كلها زاعمين انَّ فيها مالا يوافق حالهم وشؤونهم وطباعهم. ولعمري ان ما فسد في تلك المدنية لا يوافق احداً من الناس لا شرقيين ولا غربيين. وفي اوربا واميركا كثيرون من ذوي الرصانة والحصافة نوابغ في العلوم وفي الفنون وفي الآداب يحملون على ما في مدنيتهم من الموبقات والمنكرات. واكثرها آفات ظاهرة تعرف الحكومة كيف تأثرها لتصلحها او لتستأصلها. واما في الشرق فآفات المدنية خفية دقيقة يصعب على العلماء معالجتها ويعجز في سبيلها الحكام. الغربي بما فطر عليهِ من حب الحرية والجهر بالامور يجرأ على عمل قد يكون مخالفاً سنن العدل المصطلح عليها ولا يخفي قصدهُ عن الناس بل يسير اليهِ في رائعة النهار ويعززهُ بحجة عقلية او سياسية. وقد يكون مجرماً مع ذلك او فوضوياً. اما الشرقي فنفسهُ كتاب من الاسرار مختوم لا يعلم منهُ الاَّ ما نقش على الختم — «اللطف. المجاملة. المصانعة. الاستسلام.» — تحدث الشرقي في اجل الامور او في احقرها وتطلق لنفسك العنان في النصح او النقد او التقريع فيهز رأسهُ مؤمناً مجيداً — اي نعم — تمام — الحق معك — هذا صحيح — جيدا والله — ثم يذهب في شأنهِ ثابتاً في خلالهِ

اخواتي. في كل اخلاقنا الكريمة الشريفة ما وجدت خلقاً يقارن الجرأة الادبية والحرية الادبية. شعوب وامم تفرقوا مذاهب وهم في حاجة الى التفاهم قبل كل شيء. ومفتاح التفاهم التصريح بمقاصدنا وغاياتنا. التصريح بما تكنهُ اشدتنا عما يختلس شؤوننا الاجتماعية والدينية. اما هذه الحرية السياسية التي ترفع في الجرائد وفي الاندية عقيرتها فليست صافية من شوائب التقية والتعصب والمخاتلة. لم يزل هذا الشرقي شرقياً مسلماً كان او مسيحياً. فيقف مثلاً امام الحاكم مكتفاً مزوراً ويتأدب تأدباً لا يمنعهُ من الغيبة والنميمة عند ما يخرج من الديوان. ويظهر ان سبَّ الحاكم سرًّا خلق قديم من اخلاق الشرقيين. لذلك قيل في الامثال. «ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيهِ وكف لسانك عن سبهم»

على المرء ان يدفع الحجة بالحجة والظلم بالحق واذا اقتضى الامر فبالتمرد والعصيان. فيكون التمرد اذ ذاك حقاً والعصيان واجباً. عليهِ انَّ يطالب ابداً بحقوقهِ المهضومة مهما

كانت . فاذا نام عن صغيرها لا يستطيع صيانة كبيرها . ولكن الشرقي لوفرة لديهِ او لكبر نفسهِ او لشدة ورعهِ يُغضي على الضيم ويعود الى الله . وقد يتأوه في سرهِ ويشكو الزمان . والحق يقال ان في الناس حتى في الغرب كثيرين مثل الشرقيين يسكتون ولا يعارضون ما زالت تجارتهم رابحة وما زالوا على شيء من العيش رغد هنيء . ولا بد للتجار اصحاب الذراع والميزان من المجاملة والمكايسة فالحضارة تنبه في الانسان غرائز لا اثر لها في فطرة اهل البادية . وهذا اخلاق العرب . هذا اليأس والمنعة وعزة النفس والمروءة والاباء والشهامة والوفاء . ولكن الاحكام الشرقية والتقاليد الدينية والمذاهب السياسية ذهبت باكثرها

« في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرّد يوماً بالهدى جيلُ »

ترانا لا نأتي عملاً لا يكون منصوصاً عليهِ في كتب الدين . ولا نخطو خطوة لم يخطها قبلنا اجدادنا . ولا نقول في مشاكل الحياة قولاً لا نستطيع اسنادهُ او اسناد مثلهِ الى احد الائمة الكبار . ولا يمسّنا ضر او خير الأ منهُ تعالى . فنتوه في جهلنا قائلين : انا لله ! ونتربع على بساط المذلة صارخين : انا لله ! ونركب مطية الجبن والعجز متأوهين : انا لله ! وتحل بنا سبع ضربات مصر فنصرخ مبتهلين : والحمد لله والشكر لله !! جميل هذا التناهي في الورع والتقوى . جميل هذا الصبر والاستسلام . ولكنهُ انما في المغرب اراحوا الله من صراخهم وشكواهم فاطمأنوا . سادتي . خلق الله الطير ليطير بجناحيهِ لا ليترع بهما في اوحال اليأس ويكسرهما على صخرة الايمان . وجناح النفس والعقل في الشرقي لم يزل والحمد لله سليماً ولكنهُ مكبل مقيد . قيدتهُ القناعة والاستسلام . قيدتهُ عقيدة القضاء والقدر . قيدتهُ الاحكام الظالمة . قيدتهُ السيادة الدينية المطلقة . قيدتهُ الطاعة العمياء . قيدتهُ التقاليد والخرافات . بل قيدتهُ المرأة في قيودها . حملوا قيود المرأة الشرقية فثقل قيود الشرق كلها تدريجاً

ومن غريب مخبايا الشرائع والاحكام انها تحرر جيلاً من الناس وتستعبد آخر . كانت عقيدة القضاء والقدر قديماً من اكبر عوامل النصر في الاسلام وهي اليوم من اكبر العوامل في تأخر المسلمين . والشريعة التي حررت المرأة من احكام الجاهلية وعاداتها جعلها بعض ايمتها اليوم نيراً على المرأة لا يطاق . الشريعة التي تقبلها امرأة العصر الخامس لا تقبلها امرأة العصر العشرين . والتي تقبلها امرأة اليوم قد ترفضها امرأة الغد . وهذا هو ناموس الترقي الحي الدائم الذي يخدع المشرع والمصلح والحكيم . سنن الادب والسياسة انما هي من عقل الانسان وانما هي التي ابقت عقل الانسان في قيود الجهل والعبودية زمناً طويلاً . على المرء اذاً ان يكون

متيقظاً عاملاً ناشطاً مفكراً فلا يقبل اليوم من الشرائع التي سُنت لاجدادهِ مالا يوافق حالهُ ولا يساعدهُ في ترقية نفسهِ وعقلهِ بل في ترقية قواهُ الحيوية والروحية كلها . عليهِ الاَّ يكون ممن

« عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا »
« فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون من غيٍّ لمن سجدوا »

ومن سعى سعياً جميلاً في تكييف الاحوال لتوافق نزعات النفس السامية ولتحقيق آمال الفكر العالية كان من الصالحين المقربين من الآلهة . وما يعترضنا في طلب الحقيقة وفي تعشق صورة الكمال من جهل وتعصب وتقاليد وخرافات فمن الشيطان لا من الله . وعلينا ان نناهضها لنذللها ونستأصلها تماماً

قال إمرسون : « النفس الخالدة هي التي ترى الخلود في كل شيء وتساعد في تكوين العالم » . وفي النفس مرآة الحيَّة تنعكس فيها صورة الكمال . وكل فكر جميل يصقلها وكل فكر خبيث يشوهها . علينا اذا ان نهجر امالنا السيئة وآمالنا الباطلة ونزدريها اذا اعترضت الفكر الجميل في سيرهِ وسعيهِ وجدهِ . ان ارادة الانسان اذا ادركها ورويتها لعظيمة . ومتى بدأ يقول « علي ان افعل اذن لي ان افعل » كما قال الفيلسوف كَنت ويقرن بالعمل قولهُ يتدرَّج الى السيادة المطلقة في ممالك الحيوان والنبات والاثير وفي ما فوقها للنفس من ملك لا يحد

ولكل منا دائرة اجتماعية صغيرة يستطيع ان ينير فيها مصباح الفكر والحب والارادة . ولكل منا سلسلة حوادث يتألف منها المهم في حياتنا الاصطلاحية فيستطيع ان يكيفها لتوافق ما منا من افكارنا وما سلم ورق من شعورنا . هذا اذا كانت لنا ثقة بانفسنا فنعزز بالعمل الارادة فينا

ولا بد من سقوط كل عقيدة من شأنها ان تبقي الانسان في ضعفهِ وجهلهِ وخمولهِ . ولا بد من اضمحلال مذاهب وتعاليم ركنها الاول من الوهم والخرافة . ولا بد من نسخ كل شريعة لا يقرها العقل ولا يخضع لها الضمير . وما نهض بالاوروبيين من مهامهِ الجهل والمسجية والاستعباد غير تحررهم من خزعبلات السياسة والاحكام من قيود الخرافات والاوهام

في جزيرة جاوى نوع من الشجر لا ينمو في ظلهِ نبت ولا يعيش حيوان . شجرة في جذعها واغصانها سم يسم تربتها وظلالها فتراها وما حولها من الارض الجدباء كانها واحة

في قلب البادية . هذه لعمري شجرة الخرافة تزرع في النفس فتسم الفضائل والاخلاق . وتمتد ظلالها الى العقل والى القلب فتفسد فيهما الفكر والشعور . شجرة جذعها من الخوف وسمها من الجهل واغصانها من الاوهام وثمارها وان كانت كبيرة جميلة فكتفاح سدوم قلبها رماد وكبريت . متى يتقلص ظلك في الشرق ايتها الشجرة السامة المهلكة . متى يستأصلك العلم من انفس الشرقيين . ومتى يُطرد الذين يرعونك بالتربية ويتاجرون بسمك وثمارك ؟

« تكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق »

اولئك الذين يتاجرون بتفاح سدوم يفسدون في الناس عقيدة الايمان الحقة . الايمان سر القوى البشرية من عقلية وروحية وادبية . الايمان الحي الصادق يحرك صاحبهُ الى المفاداة بالنفس والنفيس في سبيل الحق والشرف والعدل والحب والمجد والعلى . وفي سبيل العلوم التي تحبب هذه الفضائل الى الناس . وفي سبيل الفنون التي تحيي فيها صورة الكمال . قديماً كان النبي الكاتب الشاعر في الناس . وما كان ليتهيب الموت اذا اعترضهُ في سبيلهِ . فيسجل كلمتهُ على اعداء الحق بل اعداء الله ولسان حالهِ يقول على الدنيا السلام . فاين شبه الانبياء في ادباء هذا الزمان وشعرائهِ . تراهم يتزلفون الى ذوي السيادة و يصانعون صوناً لصلحة او جرّاً لمغنم . اما الايمان فميت في صدورهم . فالأديب الذي ينادي بسعادتهِ سيفي سبيل اديبهِ . والسياسي الذي ينادي بمنصبهِ في سبيل وطنهِ . والعالم الذي ينادي بحياتهِ في سبيل علمهِ . ان هؤلاء وان عدوا من الكافرين لمن اجمل الناس ورعاً واصحهم اعتقاداً واصدقهم ديناً . ذلك لان ايمانهم بالله وبالحري بما في النفس البشرية من القوى الالهية الكامنة لحي صادق مجيد . اتجد الله يا هذا . كن عادلاً محباً منصفاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عاملاً في تحقيق امل واحد من آمال النفس السامية . فانك في اقتدائك بالمقربين منهُ تعالى تجيداً كافياً لاسمهِ

٦

عقائد في الشرق واضاليل تفسد العقول والاخلاق فما الذي يصلحها ؟ لا اقول قول مُتنكيو ان على الحاكم ان يستخدم القانون لينبّه من اذهانهم الدين او بالحري الاعتقادات الدينية الباطلة التي تعزو الاشياء كبيرها وصغيرها الى قضاء لا يرد فالعقائد الفاسدة لا تزيلها غير العقائد السليمة . والقانون لا يجرأ على اقتلاع شجرة الخرافة من اصولها لان ذوي المصلحة الذين يتاجرون بسمها وثمارها كثيرون . فالعلم الصحيح وحدهُ ينبه من خدّرتهُ التقاليد

والخرافات . وينعش منهُ النفس والجسد . اما القوانين والاحكام فتعجز عن اصلاح ما افسدتهُ من الاخلاق

ان عصرنا لهو عصر البحث والنقض والتمحيص . واذا كانت لا تسود هذه الروح روح الزمان الراقية في آدابنا وديانتنا وسياساتنا واجتماعياتنا لا تصطلح اخلاقنا ابداً ولا تفك قيود العقل والنفس فينا

في كل الفلسفات الادبية القديمة والحديثة ما وجدت اصلح من فلسفة الرواقيين واسمى . منشئها زينون اليوناني . فان فيها من المشبهات العقلية والمقويات الروحية ما لا نجدهُ صافياً في الحقائق التي نلقنها اليوم . فلسفة الرواقيين تعلمنا الواجب الذي لا يتعدى العمل به اللازم المفيد . وتعلمنا الصبر على الشدائد وعظم الهمة . وتعلمنا ان لنظر الى السرور والحزن بعين هادئة وقلب مطمئن . وتشدد العزيمة فينا فتحصن النفس من طوارئ الدهر وتعدها لنوائب الزمان . وتهب الينا الفضيلة حباً بها لا حباً بجنات تجري من تحتها الانهار . لمذهب الفيلسوف زينون الفضل الاكبر في عظمة رومية وبأس ابنائها . بل هو مهد رجالها العظام من قادة وسياسيين وفلاسفة وقياصرة . لو حكم عليَّ بالتمذهب لما اخترت غير الرواقية مذهباً

لا انكر ان ماضي الشرق غنيٌّ بالنوابغ العظام . بالذين تفردوا ذكاء وروحاً واخلاقاً فنظموا الشعر واشترعوا الشرائع ووضعوا التعاليم فكانوا اعلاماً يهتدي الناس بها . ولكن المعلمين مشبوهون مرشدون . والانبياء الى الطرق القويمة هادون . على ان « الانسان لم يُخلق ليقاد بالزمام » بل فطر على ان يهتدي بمصابيح العلم والحرية . فالعلم ينير الحوادث ودلائلها والحرية تمكنهُ من الاستفادة بها فكراً وعملاً

ان في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيراً يبطل الاخير منها السابق لها . ان تعاليم كنفوشيوس السياسية تغاير الشرائع الدستورية التي تأسست عليها اليوم جمهورية الصين . وفلسفة برذا الاجتماعية تتعوض في ظل الاحكام الانكليزية

وفي الشرقيين من ادركوا هذا من عظم خلقهم وكبر قصدهم وبعدت همتهم . واننا لنرى شيئاً من هذا الادراك السامي حتى في المتفردين بالتوحش من الفاتحين . رجل رجلاهُ في الدم وفي رأسهِ شيء من السماء نظر الى السماء وقال : اذا كان الله في كل مكان لم لا نعبدهُ في اي مكان كان . فني اشواك نفس جنكزخان الذي هدم الجوامع واعتنق الاسلام وردة جميلة من ورد الحقيقة السامية . وان كلمةً لتذكرني بما اخبرناهُ القديس اوغسطينوس عن العالم الوثني الشهير في زمان قكتورنيوس فانهُ اخبر احد اصحابهِ يوماً انهُ اهتدى الى الدين

المسيحي فقال صاحبهُ لا اصدق حتى اراكَ في الكنيسة . فقال فكتورتيوس وهل الجدران تجعل المرء مسيحيًّا . الحقيقة تتجلى في الاحايين للبريء تجليها للفيلسوف

واننا لنجد في الشرق اليوم في اي مدينة كانت اناسًا تساموا عقلاً وخلقًا ولكن خاصة اخلاقهم لازمة غير متعدية

بين ان الغربيين اذا سمت اخلاقهم سمت منهم العزيمة وبعدُ القصد فيعملون بما اوتوا من المواهب لخير الناس . واننا لنرى هذا الفرق في حكمتنا وحكمتهم كما قلت . وازيدكم من ذلك مثالاً . جاء في بعض الكتب ان الرجل الفاضل الرشيد لا ينبغي ان يُرى الاَّ في مكانين اما مع الملوك مكرمًا واما مع النساك متعبدًا . هذه حكمة الشرق . انما الفاضل الرشيد من لا يُرى لا مع الملوك مكرمًا ولا مع النساك متعبدًا بل في معمعان الحياة عاملاً . هذه حكمة الغرب . فالزهد والانقطاع عن الدنيا كالاخلاد الى نعيم العيش كلاهما يورث الخمول والخبال . واذا سمت عواقبهُ فلا يربي في صاحبهِ غير الفضائل السلبية . وها كم قصة تمثل ما اريد

التقيت مرة في الطريق على شاطىء النهر بدرويش اسمهُ الشيخ عبدالله وهو من السالكين طريقتهُ مولوية . فاخبرني انهُ رحل الى سوريا منذ خمسة عشر يومًا قادمًا من الحجاز ماشيًا وقضى في الطريق خمس عشرة سنة . واخبرني انهُ جاء سوريا ليزور فيها قبر احد الاولياء في نواحي طرابلس

« تركتَ ضياء الشمس يهديك نورها وتبعت في الظلماء لمحة بارقِ »

على انهُ بان لي بعد ان حدثتهُ في طريقتهِ واحوالهِ — ولي نزعة الى استطلاع اخبار هؤلاء الدراويش — ان الحاج عبدالله على شيء من العلم وانهُ في سلوكهِ وفتوتهِ لمن الصادقين . ولم يطلب مثل اكثر اخوانهِ صدقة لوجه الله . ولكنني عند مصافحتي اياهُ مودعًا وضعت في يدهِ قطعة من نحاس هذه الدولة فقبلها شاكرًا . وسرت في طريقي اتأمل من جاء ماشيًا من الحجاز — وقضى خمس عشرة سنة في الطريق — ليزور قبر ولي من الاولياء

« أرسلت غربك تبغي الماء مجتهداً وما علا الغرب لما خانك المرس »

وكنت وصديق لي نقصد يومئذٍ عمشيت لنزور فيها قبر ولية من وليات البر والحجى هي عزيزة رنان اخت الفيلسوف الافرنسي الشهير . فكنا والحاج عبدالله سويين من هذا القبيل لكلانا مزار تحركنا اليهِ عاطفة الورع والتقوى . ولكن هذا غير ما اجنح من القصة . في اليوم الثاني ونحن عائدون الى بيروت — وكانت السماء يومئذٍ ماطرة — تراءى لنا خيال اسود على حجر الى جانب الطريق فاقتربنا منهُ واذا بهِ الحاج عبدالله يستريح تحت المطر من

عناء السفر — وهؤلاء الدراويش لا يخافون الزوابع والرياح — فحدثتهُ ثانية وقدم اليهِ رفيقي شيئاً من المال — وهذه النكتة — فرفضهُ قائلاً : « لم يزل معي والحمد لله مما تفضلتم بهِ البارحة » . القناعة كنز لا يفنى ولكنهُ كنز لا يمرّ البلاد

خُلق الحاج عبدالله ما يسمونهُ في لغة المتصوفين خلقاً عظيماً لانهُ اعرض عن العالم واقبل بكليتهِ على الله تعالى . ولا اظنكم تجهلون ما في هذه الطريقة طريقة السالكين والسالك من تعطيل الحواس الظاهرة والكفران بالذات . وان السالك ليقتل ارادتهُ ويخلد الى السكون الذي يولّد الخمول والكسل . وفي الهند عند البراهمة غرائب من أساليب الكسل والخمول . عقيدة البوذي مثل عقيدة المتصوفين في نتائجها وفي بعض اصولها . والغاية القصوى منها اتحاد المرء والمبدإ الاولي الدائم مبدإ اللاشيء اي العدم الازلي . فالبوذي يغمض طرفهُ ويقول : انني جزء من هذا اللاشيء الازلي لا نهاية لهُ . وفي قتلي الارادة واستئصالي الرغائب والآمال الدنيوية من صدري افوز على النفس فيتم اتحادي بالظلمة الازلية الابدية . وهي تدعى عندهم « نرفانا » والمتصوف يدعوها جمع الجمع اي العزة الالهية واذا سئل البوذي ما هي « نرفانا » . اجاب : اني حين اغمض طرفي واعود الى نفسي مردداً أم أم اظفر بها . أم أم ! — الله الله ! قد يُسعد النسك صاحبهُ ولكنهُ يخرب العالم

مثل هذه العقائد اصولها في أوحال العادات والخرافات وفروعها في سماء النظريات والاوهام لا ترقي في المرء اخلاقاً سامية مجيدة . يتعدى خيرها ولا يلازم صاحبها وينحصر فيهِ . ومن سخيف تقاليدها مثلاً ما نراهُ متبعاً عن البراهمة فعلى البرهمي الاّ ينظر الى الشمس عند شروقها وغروبها . ولا يطأ حبلاً رُبطت بهِ بقرة ولا ينظر الى امرأتهِ حين تأكل او تعطس او تتثاءب . ولا يلبس لطعام الظهر غير ثوب واحد . ولا يستحم عريانًا . وغيرها من آداب السلوك المستغربة المضحكة . حتى انهُ في ازالة الضرورة تراهُ مقيداً بخرافات بوذية . فقد حُظر على البرهمي ان يزيل ضرورة على الرماد او في حقل مفلوح او على ربوة خضراء او على وكر نمل ابيض . وغير هذه من الاوهام التي ينزلونها منزلة النواميس الطبيعية بل الالهية . وهم مع ذلك اصحاب نحلة وكرامة محترمون في قومهم موقّرون فلا غرو اذا كانوا متقاعدين متخاذلين خاملين لا يعملون عملاً مفيداً . الجلالة والوقار والكسل قلما ينفصل بعضها عن بعض . وكل امة يغلب في شعبها وهم الالهة والجلالة . تستنيم الى الضعة . ويحتمل منها الخس . ويكثر فيها الكسل

هؤلاء نساك الروح رهبان الشرق براهمة ومتصوفون يهربون من الحياة ويزدرونها .

اما نسّاك العقل فاليكم خبرهم . في المغرب اليوم عصبة الفلاسفة المتفردين الذين يعرفون الاحكام ولكنهم لا يقرونها ولا يتعرضون لها مباشرة . يعيشون في حقولهم بعيدين عن ضجيج المدن والناس مستقلين مطمئنين لا يتطلبون شهرة ولا مجداً . يعيشون على الفطرة الاولى من الوجهة الجسدية وعلى ارفع ما اتصلت اليه العلوم والحكمة من الوجهة العقلية والروحية والمعنوية . تراهم احدهم بدوياً في غرائزه وطباعه حضرياً في مزاجه واخلاقه . اميراً وفلاحاً في وقت واحد . وكثيرون من هؤلاء في الولايات المتحدة في البر لا في المدن . يعيشون في عزلة عن الناس كل في دائرته كالنجوم في حبكها وتشع انفسهم اشعة الالفة الحقيقية التي تربط كل دائرة باختها . ولكل منهم مهنتان مهنة معاوية نكية قوامها الآية : « على الارض السلام وبالناس المسرة » ومهنة دنيوية زراعية قوامها الفكر والعمل . فيحرث احدهم الارض ويربي المواشي « ويقطر عربة افكاره بالكواكب السيارة كما قال امرسون »

وقد زرت احد هؤلاء الكبار مرة في بيته فلقيته عند وصولي قدام باب الاصطبل حاملاً جراب قمح يطعم منه الدجاج . وبعد ايام دعيت الى مأدبة في المدينة جمعت من رجال العلم والادب اشهرهم هناك وكان صديقي هذا رئيسها وقطب دائرتها . فتأملوا هؤلاء النساك نساك العقل . نساك الفلسفة . لا يتكفون عن العمل المفيد مهما كان زرياً ولا تأخذهم اوهام الابهة وخزعبلات الوقار والجلالة . وقد لا تعجبكم اخلاقهم او يالحري سلوكهم . فهم لا يحفلون بما تُقتناهُ في الشرق من المجاملة والمصانعة في الضيافة . ولا يحسنون من اللطف الشرقي الالف باه . ولكن صدقاً في اقوالهم . وحرية في اعمالهم . وجرأة في حريتهم . تقربهم الى الفطرة البشرية الاولى التي لا تعرف التهر والضغط فيسترسلون مع الطباع ولكنهم يستعملون في ذلك الفكرة والتمييز . والفطرة الاولى اقرب الى الخير على ما فيها من غلاظة وسماجة لبعدها عما يتطبع في نفوس اهل المدن من سوء الملكات وقبيح العادات وفاسد الاصطلاحات . وهذا ما يحمل ذوي الالباب والحصافة اليوم الى السكنى في القرى او التنسك في البرية

ذلك مبلغ نساك العلم والادب . وتلكم طريقتهم النسكية الفلسفية . ناسك الروح يعطل الحواس منهُ لوهم فيهِ ان ذلك يقربهُ من ربهِ . وناسك العقل يهذبها ويرعاها ابداً بالتربية ليقترب من نفسهِ فيعرفها . شعارهُ بساطة العيش مع سمو الادب . فيقرن لذة الحراثة بلذة التأمل ولذة التأمل بلذة العمل . ناسك الروح يبعد عن الناس ليقترب من الله . وناسك العقل يعتزل الناس ليقترب من الناس فيعيش طبق فلسفتهِ وبموجب علمهِ فيصير

اهلاً لان يخدم الناس وينفعهم . فما قولكم بالناسكين ناسكنا وناسكهم واي منهما اقرب الى الله

وهاكم مثالاً آخر من اخلاقنا الكريمة التي قلما تفيد . في لبنان بكثر الشحاذون ومنهم نساء من العرب يستعطين ليعيّشن اولادهن ورجالهن ! ومن هؤلاء البائسات بدويتان استوقفتاني يوماً فادهشني امرهما . بعد ان جاءتهما الخادمة بشيء من الدقيق جلستا على الدرج قدام الباب وفتحت كل جرابها . فاخذت البدوية الصغيرة واسمها حسنى تفرغ من جرابها الملآن في جراب رفيقتها الفارغ . فسألتها السبب في ذلك . فقالت : هي ضرتي ياسيدي ورجلنا يؤثرني عليها ويضربها ضرباً ليلاً اذا عادت المساء وجرابها فارغ فاشاطرها ما معي لارد عنها الضرب . فعجبت لكرم اخلاقها ولكني اسفت لما رأيت عليه من الذلة والاستكانة والاستسلام . فهي لا تستطيع ردع زوجها المتوحش الاّ بهذه الحيلة الجميلة . ولو حاولت ردعه ساعة غيظه لضربها ايضاً . جذا شهامة مقرونة بالقوة والعصيان . لم الضعف يلزم له اسنان الكلب . وانهُ ليحق لمثل هذه المرأة ان تهجر زوجها وتبارکها الله لو فعلت

وهاكم قصة اخرى تمثل ما اريده بالاخلاق اللازمة والمتعدية . مرّ اعرابي بعجوز فطلب منها طعاماً . فجاءته ببيض حيّات مشوية وبكوز من الماء الملح فاستغرب ذلك وسألها السبب . فقالت هذا كل ما عندنا في هذا الوادي . فتعجب الاعرابي وسأل العجوز كيف نقيم هناك تأكل الحيات وتشرب الماء الملح . فقالت وكيف تكون بلادكم . فوصف لها بلاداً فيها دور رحبة واسعة وثمار يانعة لذيذة ومياه غزيرة عذبة . فقالت العجوز : وهل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه . فقال الاعرابي : قد يكون ذلك . فقالت آكلة الحيات : اذاً والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف مع الجور والظلم سمّاً ناقعاً ونعود اطعمتنا مع الامن دريئاً نافعاً . حكمة العجوز بليغة وجميل إباه نفسها . ولكن ذلك لا يردع السلطان عن غيه ولا يكبحهُ عن جوره وظلمه

اجل ان شهامة البدوية حسنى وقناعة الحاج عبد الله وعزة نفس العجوز آكلة الحيات لفضائل كلها جميلة ولكنها سلبية ملازمة . شريفة اخلاقهم روحية . ولكن شيئاً كهربائياً لينقصها . مثل هذه الاخلاق في الشرقي لا تؤهلهُ لمناهضة الظلم والظالمين لانها غير مقرونة بادراك النفس ما لها من الحقوق وما عليها . وقد يصح ان نقول ان في مثل هذه الاخلاق الشريفة نوراً وليس فيها دم . الشرقي يهرب من الظلم معتصماً بالله — « لا تجعل صلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله » . فالهرب الى البرية من الظالم حياة .

والهرب الى الله من الحياة كفران بالحياة وبارئها . نفس الحاج عبد الله جميلة ولكنها ضالة . ونفس العجوز أبية ولكنها مستسلمة . ونفس حسنى البدوية كريمة ولكنها خامدة خاملة . فحيلتها لا تزيل شراسة الخلق في زوجها . وكان ينبغي لها ان تنفق وضرتها لتهجرا مثل هذا البربري . فان خفاشاً في كهف لخير منهُ

اقول وحقاً ما اقول ان الشرقي يظل شرقياً قاعد الهمة . عاجز الرأي . خامد الطباع . متخاذلاً مستسلماً . قانعاً من زمانهِ بالغصة والذل . اذا كان لا ينفض عن نفسهِ غبار السنين من الكسل والخمول ولا يكسّر قيوداً من التقاليد والخرافات والعادات فيدت منهُ العقل والنفس والجسد

الانسان الذي خلقهُ الله على صورتهِ تعالى ومثالهِ اذا تقيد في كل اعمالهِ واقوالهِ وافكارهِ لا يبقى فيهِ شيء من صنعة الله حر جميل . الفكر انهضوا بهِ من قبور التقاليد . النفس حرروها من خزعبلات الاوهام . الجامعة ارفعوها على الحكومة والحكام . الاخلاق روضوها للعمل المفيد . ان اخلاقنا الروحية لرأس مال كبير في حياتنا الجديدة علينا اذاً ان نستخدمهُ لخيرنا وخير الشرق بل لخير الناس اجمعين . وان من لا يرجو من هذه الحياة خيراً هو غالباً ممن لا يستأهلون الخير ولا ينالونهُ . كلمات اليأس لا يزيل ترداداها اليأس . التأوه والانين لا يصلحان الشؤون بل يوهنان القوى ويورثان الخبال . لنعوّد انفسنا ترداد كلمات الامل والرجاء . فانها وان كانت مبنية على وهم مستحب او فكرة طائشة لتعودنا في الاقل العمل . وتوقظ فينا النشاط . ولتحذ منا الارادة . ان املاً اردده في نفسي كل يوم لا يلبث ان يملكها فيدفعني الى العمل لتحقيقهِ . المريض لا يشفيهِ الانين . والشقوة لا يزيلها الاستسلام الى الاقدار . لنبرهن خطتنا في امور الدنيا والآخرة على عقلنا . ولنبرهن قوتنا على خطتنا . ولنبرهن اعمالنا على هذه القوة فيها . وحبذا الشرقيون والغربيون لو اخذ بعضهم عن بعض مما هو جميل في اديانهم صحيح في آدابهم . سامٍ في فنونهم . سليم في عاداتهم . سديد في عقائدهم . عادل في احكامهم وشرائعهم . فالحق يقال ان خلاصة آداب الشرق والغرب بل خيرها في الاثنين ممزوجاً موحداً انما هو الدواء الوحيد لامراض هذا الزمان الاجتماعية والدينية . فالغربي عندئذٍ يعود الى الله والشرقي يرفع عنهُ بعض اثقالهِ

امين الريحاني

اصول التعليم الحديث

الدور السيكولوجي

هذا الدور ممتزج امتزاجاً كلياً بالدور الفسيولوجي والعقلي حتى ان الانسان قلما يستطيع ان يميز بينهما . ولقد نشأت هذه الادوار كلها من الدور الطبيعي كما تقدم القول . على ان الفرق بين هذه الادوار يدرك بدرس خصائص كل دور على حدة ولذلك فاننا نستطيع ان نجمع خصائص الدور السيكولوجي بما يأتي —

كان من هذا الدور ان يرقي مبادئ الدور الطبيعي ولذلك جعل قواعده الاولية

(اولاً) ان التعليم ليس هو التقدم الخارجي القائم بمعرفة اللغات والانشاء معرفة سطحية بل هو اظهار القوى المغروسة في الطبيعة الانسانية . فعمل الدور السيكولوجي اذاً ان يضع هذه الافكار في صور عملية ويدخلها الى المدارس فعلاً

(ثانياً) الاجتهاد في التوفيق بين التعليم القديم اي التعليم بالكد والسعي وبين التعليم الجديد اي التعليم لاجل المنفعة

(ثالثاً) ان التعليم يجب ان يكون اساسه ترقية قوى الانسان بواسطة الملاحظة والاختبار

(رابعاً) السعي لاصلاح طرق التعليم في المدرسة وتهذيب المعلم ليتسنى له ان يقوم بوظيفته حق القيام

(خامساً) الشفقة على التلميذ ومراعاة اقتداره العقلي ومنفعته الخاصة

(سادساً) الاهتمام بالتعليم الابتدائي الامر الذي لم يفطن له المصلحون الاولون حتى كومينيوس نفسه

(سابعاً) القصد من التعليم ارتقاء الفرد ولذلك قال بستالوتسي كلمته المشهورة «ان التعليم هو ارتقاء جميع قوى الانسان على السواء»

(ثامناً) ما دام القصد من التعليم ارتقاء الفرد فينتج من ذلك اذاً ان كل فرد في العالم يجب ان يرتقي بحسب اقتداره العقلي واستعداده الطبيعي

ولقد كان للدور السيكولوجي وجهتان الاولى عملية وقوادها بستالوتسي وهربرت

وفريبل والثانية منطقية وقوادها كنت وفكتي وشلنك وهكل . ونحن انما نبحث هنا في الوجهة العملية لا غير

لا ريب انهُ من الخطإ ان ننسب الى بستالوتسي كل الاصلاح التعليمي الذي حدث في القرن التاسع عشر . لان بستالوتسي لم يكن سوى موفق بين اراء روسو وجامع بين تعليمهِ الايجابي والسلبي كما تقدمت الاشارة اليهِ . زد على ذلك ان كل المبادئ والنظريات والتعاليم المنسوبة اليهِ انما قام بها تلامذتهُ بعد ان اخذها هربرت وفريبل وزادا عليها لتعمقهما في الفلسفة ولتوسعهما في العلوم . فبنيا على اساسهِ بناء ثابتاً لم يستطع بستالوتسي نفسهُ ان يقوم بهِ . فتعاليم بستالوتسي اذاً لم تكن كاملة بل كانت الجرثومة التي بُني عليها الاصلاح الحديث . ولذلك يجدر بنا ان ندرس حياة هذا المصلح العظيم لنستطيع ان نفهم المبادئ الاصلاحية التي قام بها

هنري بستالوتسي (١٧٤٦ — ١٨٢٦)

شغف هذا الرجل منذ حداثتهِ بالتعاليم التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » وصار ميالاً الى الثورة بكل قواهُ . وبعد ان كان عاقداً نيتهُ ان يُسامَ قسيساً ترك ذلك واشتغل بالفلاحة حسب الطرق الزراعية الحديثة . ولما لم ينجح في عملهِ حوّل مدرستهُ التي كان قد فتحها قبل ذلك الى مدرسة للاولاد المتشردين . وقادهُ عقلهُ في تعليم ابنهِ الى المساوئ والمحاسن التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » المار ذكرهُ . ومن هنا ابتدأ عملهُ العظيم . وكان اول شيء عملهُ انهُ وضع كتاباً سماهُ « جورنال الاب » اودع فيهِ كل اختباراتهِ في تعليم ابنهِ

ومن سنة ١٧٧٥ — ١٧٨٠ شاد مدرسة لتعليم الفقراء وادخل اليها بعض الصنائع ايضاً كغزل القطن وحياكتهِ وقد ذكر ان العلم والصناعة يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ولكن لما لم يكن في استطاعتهِ ان يقوم بذلك اخفق مسعاهُ وذهب مشروعهُ ادراج الرياح

ومن سنة ١٧٨٠ — ١٧٩٨ اكبَّ على الكتابة والتأليف لانهُ كان متشرباً محبة الثورة وكان الفكر الاساسي الذي دارت عليهِ كتاباتهُ « ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يقوم بالتعليم الذي يصلح الفرد ادبياً وعقلياً » . وكان اهم كتبهِ رواية « ليونارد وغرترود » . وقد قصد في هذه الرواية ان يصور حياة القرويين البسيطة والتغيير العظيم الذي استطاعت غرترود المرأة الجاهلة البسيطة ان تحدثهُ في القرية . فانها باجتهادها وثباتها وصبرها في تهذيب اولادها قدرت ان تنقذ زوجها ليونارد من الكسل والسكر . وقد كان

لهذه الرواية دويٌّ عظيم في القرى المجاورة فاثرت في اخلاق السكان تأثيراً كبيراً واحدثت اصلاحات شتى في كثير من القرى . وصار الكل يرون ان للولد حقًّا على الوالد فهو مسؤول عن تربيته وتعليمه وتهذيبه . وفي سنة ١٧٩٨ طرأ على بستالوتسي تغير عظيم فانهُ رأى ان اصلاح الهيئة الحقيقي انما يقوم باظهار نقائصها بطريقة عملية فاخذ على نفسهِ امر التعليم . فهذا الرجل الذي لم يمارس هذه المهنة حتى بلغ الخمسين من العمر والذي خاب في كل عمل قام بهِ قبل ذلك الوقت صار لهُ من السلطة ما لم يكن يحلم بهِ اعظم مصلح في القرن التاسع عشر . والسبب في ذلك ان آراءهُ وانكارهُ كانت كلها نتيجة اختبارهِ

كان بستالوتسي معلماً في قرية من قرى سويسرا تدعى ستانز وكانت مدرستهُ تجمع عدداً كبيراً من الايتام الذين قتل اباؤهم في الحرب . فبين هؤلاء الايتام القيت بزرة الاصلاح الاولى ومنهم خرجت ونمت . ودُعي في السنة التالية ليكون مساعداً في قرية برغدورف فوضع هنا اساس «علم الاشياء» قصد بهِ تثقيف العقل لا معرفة الشيء لذاتهِ كما قال كومينيوس وغيرهُ من المصلحين . ثم اخذت الحكومة مدرستهُ على نفقتها فسنحت لهُ ان يختبر اساليب التعليم مدة اربع سنوات متتابعة مع المعلمين ومع التلامذة

وكان عمل بستالوتسي الاعظم ان يبين اساس التعليم الابتدائي اي ما هي المعرفة اللازمة للولد وكيف يجب على الولد ان يتعلم وما هي الاساليب اللازمة لذلك . فلذلك وضع سنة ١٨٠١ كتابهُ «كيف علمت غرترود اولادها» جواباً عن المسائل المار ذكرها . ولم يمضِ على تلك المدرسة مدة حتى انفلت بسبب الاختلافات التي وقعت بين مديريها ومعلميها . فاضطر بستالوتسي ان ينتقل الى ايفردن حيث تابع اختباراتهِ

التأثير الذي نتج عن تعاليم بستالوتسي

وضع بستالوتسي امامهُ غاية واحدة توجه اليها كل قواهُ وهي ان المقصد من التعليم هو اصلاح الهيئة الاجتماعية وهذا الاصلاح يجب ان يتناول كل فرد من افراد الهيئة ليس من الوجهة الدينية بل من الوجهة الاجتماعية لان لكل فرد معها كان فقيراً حقًّا في ان يهذب نفسهُ ويرقي مداركهُ على قدر ما يستطيع . ولقد ذكر في كتابهِ «كيف تعلم غرترود» ما يأتي

«ان اوربا باتباعها اساليب التعاليم الشائعة فيها الآن قد وقعت في خطاء عظيم لا بل قد اوشكت ان تجني على نفسها . فهي من الجهة الواحدة قد وصلت الى اسمى درجة من العلوم والصنائع ولكنها من الجهة الاخرى قد فقدت اساس التعليم الطبيعي القائل بتعليم جميع الناس على السواء»

« ولست ارى قسماً من العالم ارتفع الى هذه الدرجة وسقط هذا السقوط الهائل كاوربا فقارئنا والحالة هذه تشبهُ تلك الصورة التي مثلها لنا الانبياء رأسها من ذهب ولكن القوائم التي يقوم هذا الرأس عليها من الخزف · فاوربا بتعاليمها هذه قد جردت الشعب من المحبة والحكمة والعواطف وقوت فيهِ عدم المحبة والايمان والاوهام والخرافات والطريقة التي اراها لسد هذا الخلل هي ان نترك التعليم السطحي ونجتهد في ترقية التعليم العقلي ومصدر المعرفة الحقيقية »

اما معنى التهذيب الجديد فقد شرحهُ بما يأتي

« التعليم الصحيح يشبه شجرة مغروسة عند مجاري المياه والبذرة الصغيرة التي تحتوي على كل خصائص الشجرة مخبوءة في التربة · والرجل اشبه بتلك الشجرة فاننا نرى في الولد تلك القوى المستورة التي تظهر في حياتهِ · · · · · تهذيب الانسان نتيجة ادبية لاغير »

فالتعليم عندهُ هو اظهار كل قوى الانسان اظهاراً طبيعياً متناسقاً متتابعاً

نظر بستالوتسي فرأى ان في كل فرد بزوراً من القوى العقلية يستطيع ان ينميها ويرقيها اذا وجد من يهتم بهِ ويأخذ بيدهِ · وان التعليم في ذلك الوقت كان مقتصراً على تلقين الولد بعض الصور والتراكيب الصرفية والنحوية وبعض القطع الانشائية واللغات الميتة وقليل من الرياضيات فقال يجب ان يتناول التعليم شيئاً اعظم من ذلك اي اظهار القوى الكامنة في الانسان وتهذيبها لكي تكون صالحة للعمل بنفسها

ولكي نفهم حالة التعليم في زمن بستالوتسي علينا ان ننظر الى المعلمين في ذلك الوقت فقد كان بعضهم من العساكر الذين اصابتهم بعض العاهات في الحروب ومن الارامل وحراس القرى وصناع القرميد واشالهم من الذين لم تكن مهنهم تقوم بمعيشتهم فاتخذوا التعليم واسطة للمعيشة لا لتقدم الامة وارتقائها · ولقد شرح دستزورك الطريقة التي كان المعلمون يتبعونها في مدارسهم بما يأتي

« كان كل ولد من الاولاد يقرأ وحدهُ اذ لم تكن الطريقة التي يتعلم بها جميع التلاميذ في وقت واحد معروفة حينئذٍ فكان كل تلميذ يأتي الى حيث يجلس المعلم فيلقنهُ المعلم حرفاً و يعيدهُ التلميذ من بعدهِ وهو لا يزال يكررهُ حتى ينطبع في ذاكرتهِ ثم يأخذ المعلم كلمة و يبتدىء يلقن التلميذ حروفها حرفاً حرفاً الى ان يتعلمها · هذه هي الواسطة التي كان يتعلم بها اولاد المدارس القراءة ولا يخفى ما فيها من المشقة والصعوبة وطول المدة التي كان يحتاج اليها التلميذ ليتعلم قراءة خالية من كل معنى · وكان التلاميذ يستظهرون آيات كثيرة من الكتاب المقدس حتى انهم كانوا يستطيعون ان يتلوا المزامير كلها غيباً في نغمة واحدة وعلى نسق واحد مما دل

على انهم لم يكونوا يفهمون شيئًا مما يسردونهُ وقس على ذلك الاسئلة والاجوبة ولهذا فقد كان التلميذ يخرج من المدرسة وهو لا يكاد يفهم شيئًا مما قرأهُ . هكذا كانت مدارسنا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر »

فالعمل الذي قام بهِ بستالوتسي عظيم جدًا ولم يكن لينجح لولا انهُ مارس مهنة التعليم بنفسهِ وتوصل الى الاسلوب الصحيح القائم بتحليل كل شيء الى ابسط حالاتهِ وغرس معناهُ الحقيقي في ذهن التلميذ بواسطة الملاحظة والاختبار والتجربة

ولقد جمع مورف احد تلامذة بستالوتسي مبادىء التعاليم البستالوتسية بما يأتي

(١) الملاحظة هي اساس التعليم (٢) اللغة يجب ان تقترن بالملاحظة (٣) وقت التعلم ليس وقت الانتقاد والقصاص (٤) يجب ان يبتدىء التعليم في كل فرع من ابسط حالاتهِ الى ان يصل الى اصعبها (٥) لا يجوز للمعلم ان ينتقل من موضوع الى آخر قبل ان يفهمهُ التلميذ حق الفهم (٦) غاية التعليم هي الارتقاء العقلي لا عرض العقائد الدينية (٧) يجب ان يحترم المعلم شخصية التلميذ (٨) يجب ان تكون نتيجة التعليم اظهار قوى الانسان لا وضع قوى فيهِ (٩) القوة يجب ان تقترن بالمعرفة والذكاء بالتعلم (١٠) يجب ان تكون المحبة اساس العلاقة بين المعلم وتلميذهِ (١١) غاية التعليم العظيمة يجب ان تكون التهذيب

هذه هي القوانين التي اتبعها بستالوتسي في مدرستهِ فاقبل التلامذة عليهِ اي اقبال واشتهر اسمهُ في كل الاقطار ولهذا نعتهُ الجميع « بالاب بستالوتسي » لما طبع عليهِ من الحنو والشفقة والمحبة لجميع تلاميذهِ على السواء

الطريقة الهربرتية

بنى هربرت تعاليمهُ على تعاليم بستالوتسي غير انهُ خالفهُ في الامور التالية

(١) كانت غاية بستالوتسي العظمى ان تهذب القوى العقلية في التلميذ ولكنهُ لم يُظهر كيف يحدث هذا الترقي العقلي فبيَّن هربرت ان الترقي العقلي يقوم بما يدعونهُ « العمل الادراكي » (٢) اظهر بستالوتسي ان اهم الدروس المدرسية يجب ان يكون « درس العالم الطبيعي » (الطبيعيات) واما هربرت فقال ان اهم الدروس يجب ان يكون « درس العالم الادبي » (الاديبات)

بعد ان تهدم منهُ جانب كبير ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروه في معيشتهم الرعائية

(٣) جعل بستالوتسي الاهمية الكبرى لدرس الجغرافية والحساب ودروس الطبيعة واما هربرت فجعلها للغات والادب والتاريخ

(٤) اعلن بستالوتسي ان قصدهُ هو التعليم السيكولوجي ولكنهُ رفض الفلسفة العقلية القديمة ولم يذكر اسلوباً اخر عوضاً عنها . وبالجملة فان هربرت رقّى تعاليم بستالوتسي وبناها على المنطق والفلسفة الامر الذي لم يهتم لهُ بستالوتسي بولس شحاده

الآثار المصرية

مقبرة طرخان

اصدرت المدرسة الانكليزية التي تبحث عن الآثار المصرية تقريرها السنوي وفيهِ ذكر الآثار التي اكتشفت سنة ١٩١٢ . واهمها مقبرة على ٣٥ ميلاً الى الجنوب من القاهرة وفيها من الآثار ما يرجع عهدهُ الى ايام الدول الاربع الاولى وآخر دولة سبقتها في مصر وعُثر فيها على نحو ٦٠٠ قبر تشغل مساحة كبيرة في الصحراء ما عدا القبور التي اخربت قديماً وهي تزيد على هذه عدّاً . وتعرف هذه المقبرة بمقبرة طرخان وهو اسم القرية المجاورة لها وتعد من اهم المكتشفات التي يرجع عهدها الى اوائل عصر التاريخ . وليس الى الشمال منها في جميع مصر آثار تحاكيها في القدم

وعرف عصر هذه المقبرة ومبلغ قدمها من شقف الخزف التي وجدت فيها فقد وجد في بعض القبور شقف من عهد ملك حكم قبل مينا وفي آخر شقف اخرى من عهد نارمر مينا . وكبر هذه المقبرة وقدمها يدلان على انهُ كان في تلك الجهة مدينة كبيرة قديمة في نواحي القرية المعروفة بكفر عمار . وقد قامت هذه المدينة قبل مدينة منف وقبل عهد الملك مينا بقرون قليلة . ويظن انها بنيت اولاً لتكون قاعدة الملك في الوجه البحري قبل مدينة منف ثم عدل عنها في العصر الذي ابتدأ فيهِ بناء الاهرام . وفي هذه الآثار دليل على ان ملوك ابيدوس بسطوا سلطانهم على تلك الجهات . ومن القبور ما يرجع عهدهُ الى عصر الدولة السادسة والدولة الحادية عشرة والدولة الثانية عشرة . ويظهر ان تلك البقعة هجرت واوحشت من السكان بعد ذلك حتى عصر الدولة الثالثة والعشرين

ومن اغرب الآثار التي وجدت في هذه المقبرة قطع من الخشب والثياب القديمة التي لم تبلَ على كرور الايام . فقد وجدت قطع من نسيج الكتان لا تزال على جدتها ولونها كانها لم

تنزع من نول الحائك الاَّ بالامس . ولا يزال كثير من التوابيت متماسك الاجزاء وهي مصنوعة من خشب السنط . وترى العوارض في سقف القبر والاعمدة التي تدعمها باقية في مكانها الذي وضعت فيهِ

ولا اثر لمساكن الناس في تلك البقعة كلها لكن اتضح ان بعض التوابيت مصنوع من الواح الخشب التي كانت البيوت مبنية بها . وهذا يؤيد رأي الاستاذ بيتري ان الناس كانوا اولاً يبنون بيوتهم بالواح الخشب ثم استعاضوا عنها بمواد اخرى للبناء لكنهم بقوا ينقشونها من الخارج و يقطعونها على هيئة الالواح . وعلى اطراف الالواح التي وجدت ثقوب لكي يمكن شد بعضها الى بعض وقد عمل القناء في بعض تلك الالواح من الوجه الواحد والنار من الوجه الآخر وهذا يبعث على الظن ان البيت الذي اخذت منهُ احرق اولاً ثم صنعت التوابيت من اخشابهِ

وعثر على توابيت كثيرة محبوكة من الليدان والقصب كما تحبك السلال ومنها واحد صبر على غيَر الدهر ولم يصب باذًى ولا ضرر حتى ان البراعم لا تزال على عيدانهِ . وقد نقل الى القاهرة على الاكف لئلاَّ يصيبهُ ضرر في الطريق . وعثر ايضاً على اطباق ونعوش مصنوعة من الخشب و يختلف بعضها عن بعض في الشكل ولا يزال اكثرها سليماً لم يفقد شيئاً من متانتهِ . ولقوم النعوش على ارجل تنتهي في الغالب بما يشبه ارجل الثيران في اسفلها . واتصال الجوانب بعضها ببعض على الزوايا يختلف في البعض منها عمَّا هو في البعض الآخر حتى ان منهُ خمسة او ستة انواع . وحتى الآن لم يعثر على شيء مثل هذا لا في قبور الملوك ولا في المدافن الاخرى

ومما عثر عليهِ ايضاً كثير من قطع الخزف ونحو ثلاثمئة من العصون والآنية الرخامية وكاس عليها صورة الاله فتاح وهي اول صورة لهُ عثر عليها . ووجد قليل من الادوات النحاسية رغماً عن ان القبور نبشت مراراً في الازمان الغابرة لاستخراج ما فيها من الجواهر . ويظهر على احدى الجرار رسم الحيوان المعروف بالزيبرا ومقدمهُ ومؤخرهُ ظاهران جليًّا . وكشفت قطع موسومة بخاتم الملك نارمرميتا وبخاتمهِ على هذه القطع اربعة اشكال لم تعرف من قبل فالاول يحتوي على اسمهِ كاملاً هكذا نارمرزا والثاني خاتم مزارع النخيل والثالث خاتم حديقة الزهور والرابع خاتم القيوم العظيم وفيهِ صورة التمساح المقدس وصفوف من التماسيح في ماء البحيرة المتموج

ومن تلك الآثار مغرفة من العاج تشبهُ حوضاً في شكلها وعليها صفوف من الحيوانات

على كل جانب واخرى مثلها لها مسكة متعرجة بشكل الصل المتلوي . وقد ثبت ان عبادة الجمل كانت شائعة في ذلك العصر من علبة صغيرة على هيئة الجمل ولا يزال غطاؤها في مكانهِ يمسكهُ الخيط الذي كانت تعلَّق بهِ . ومن تلك الآثار ايضاً ما هو احدث عهداً من هذه كلها ولا يقل عنها اهمية فقد عثر في قبر روماني هناك على خاتم كبير وعقد من الذهب

وقد قام على الحفر الاستاذ بيتري والمستر الفرسون وتلامذة المدرسة الاثرية المستر مكي والمستر وينريط والمستر انجلباخ . وانضم اليهم مدة المستر لورنس من الباحثين في كركميش وكانت مسز بيتري ترسم صور الآثار بيدها

في منف وهليو بوليس

مضى على المدرسة اربع سنوات وهي تتابع الحفر في موقع مدينة منف وقد بدأت السنة الماضية في الحفر في موقع هليو بوليس القديمة — ويتعذر الحفر في هذين المكانين الاَّ بعد ان يقل الماء في النيل

وعثر المستر مكي في منف على تمثال من الرخام على شكل ابي الهول وهو سليم ولولا بعض التشقق بعوامل الطبيعة لكان وجههُ تام الاجزاء ظاهر الملامح مثلما كان يوم نصبهِ . وهو اكبر تمثال من نوعهِ طولهُ ٢٦ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً ووزنهُ ٨٠ طناً . وليس عليهِ اسم انما يرجح انهُ من عصر الدولة الثالثة عشرة او الدولة التاسعة عشرة اي انهُ نصب نحو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد . وكان لما كشف عنهُ ملقى على احد جانبيهِ بين التمثالين الكبيرين ويظهر انهُ بقي في ذلك المكان مدة طويلة وسينصب ثانية فتجتليهِ انظار المتفرجين كما تجتلي غيرهُ من آثار منف البديعة

ووجد عند الباب الشمالي من هيكل فتاح تمثال آخر يشبههُ وهو من الصخر المحبب الاحمر ويزيد طولهُ على ١١ قدماً وعلوهُ على ٧ اقدام وعليهِ كتابة لرعمسيس الثاني . وقد امحى وجههُ فلا يظهر منهُ شيء ولا يزال سائرهُ سليماً . وبالقرب منهُ تمثال الاله فتاح وتمثال رعمسيس الثاني محفوران في الصخر المحبب وهما منتصبان ووجههما كاملان لم يتغير فيهما شيء انما عملت الغير عملها باقسامهما السفلى . ونقشهما متقن ويعدان من احسن ما صنع في عهدهما وعلى هامة كل منهما اكليل كبير من الريش وجسمهما يقارب حجم الانسان الطبيعي . وسيرسلان الى متحف في كارلسبرج في كوبنهاغن ببلاد الدنمارك لان ذلك المتحف يقوم بنفقات الحفر وثقلهما لا يزيد على ٩ طنات . وكان على مقربة منهما تمثال كاتب لغطيهِ الكتابة ولكنهُ بدون راس . وكشف في ذلك المكان ايضاً اي عند الباب الشمالي عن

عثة قديمة مطمورة في الردم من ايام امنمهات الثالث فاستدل من ذلك على ان امنمهات بنى ذلك الباب وهذا يؤيد قول هيرودوتس فانهُ ذكر ان باني الباب الشمالي هو سوسرس وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان على هذا الملك . واتضح من ذلك ان هيرودوتس اعتمد في رواياته على مصادر يوثق بها فانهُ اصاب ايضاً في نسبته اقامة التمثالين الكبيرين والرواق الجنوبي الى رعمسيس

اكتشافات هليوبوليس

قام الاستاذ بيتري والمستر انجلباخ بكشف اولي في موقع هليو بوليس استعداداً للحفر في المستقبل وقد ثبت لهما ان المكان خلا من السكان بعد الفتح الفارسي سنة ٥٢٥ ميلادية. ويرجع عهد الآثار في الطبقات العليا الى القرن السادس قبل الميلاد كما استدل من قطع الخزف . اما الآثار من عهد البطالسة والرومان والعرب فتكاد تكون معدومة . ويظهر ان هليو بوليس كانت سداً في وجوه الفاتحين الشرقيين في طريقهم الى منف فرأى الفرس ان يخربوها ويتخلصوا منها

وكان طول حرم المعبد ثلاثة ارباع الميل ويحيط بها سوران ضخمان اقيما في عهد الدولة الثامنة عشرة ويبلغ ثخن كلٍّ منهما ٤٠ الى ٥٠ قدماً ويمكن تتبعهما من جميع الجهات . وعلى الزاوية الغربية الشمالية طابية ضخمة من اللبن لكن المقبرة التي هناك واستعمال الارض في الزراعة حالا دون اكمال البحث عنها . واعجب اثر اكتشف هناك طابية تشبه الطابية التي اكتشفها الاستاذ بيتري في تل اليهودية سنة ١٩٠٦ ونسبها الى ملوك الرعاة وهي مثلها في الشكل والحجم وضخامة الجدران قطرها نحو ١٣٠٠ قدم . وليس لها باب والبقية الباقية من الجدار في الجهة المقابلة للمسلة تعلو ١٢ قدماً عن مساواة قاعدة المسلة

آثار الرعاة

يحول استعمال الارض للزراعة دون تتبع الطريق التي كانت ترتفع تدريجاً الى ان تعلو السور في اليهودية وقد وجد تحتهُ قطعة كبيرة من الصخر عليها نقوش تبين انها اخذت من انقاض معبد فظهر من ذلك ان هذه القلعة اقيمت بعد عهد الملكة القديمة . والسور الذي بني في ايام الدولة الثامنة عشرة يحاذي جدران هذه الطابية . ومن هذا يستدل انها بنيت بين عهد الدولة السادسة والدولة الثامنة عشرة . وليس في جميع آثار المصريين والطوابي التي اقاموها شيء يشبهها فلذلك وجب ان تكون اقيمت على عهد الرعاة او عهد الغزاة البرابرة قبلهم . ولا يبعد ان يكون الرعاة حلوا في المعبد الذي بني في ايام الدولة الثانية عشرة بعد ان تهدّم جانب كبير منهُ ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروهُ في معيشتهم الرعائية

واستؤجر حقل بالقرب من المسلة وحفر فيه إلى الطبقة الرملية وام الآثار التي اكتشفت هناك بقايا مسلة نصبها تحتمس الثالث ثم غيّر رعمسيس الثاني الكتابة التي تغطيها . واكتشف ايضاً باب الهيكل الشرقي وكتابات من ايام عشرة ملوك مختلفين وهذه اول مرة حفر فيها في هليو بوليس ولا شك انهُ اذا توسع الحفر فيها تكتشف آثار مهمة كثيرة

المجاعات في الهند (١)

لا ينكر احدٌ ان اسعار المآكل في العالم قد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً وقد تناول العلماء المفكرون اسباب هذا الغلاء فلم يصلوا الى حقيقة يُقطع بها بل لكلٍّ منهم اراء ومذاهب تختلف باختلاف العوامل والاحوال . اما كلامي هذه الليلة عن الهند فليس من قبيل تدبر الاسباب التي ترفع اسعار المآكل بل البحث عن اسباب المجاعات التي تنتاب البلاد الهندية من حين الى آخر فتجهز على الالوف وتترك بعض الاماكن فيها خراباً يباباً

وتاريخ المجاعات في العالم قديمٌ جدًّا وقلما خلت منهُ امةٌ شرقية كانت او غربية وذلك لاسباب عديدة منها ان معرفة الانسان بالانتفاع من الطبيعة كانت قاصرة جدًّا ووسائل النقل معدومة حتى ان الكثيرين التي تنقلب الآن في النعيم والرخاء كانت مهد المجاعات والامراض والمصائب . وقد احتاحتها المجاعات مراراً عديدة كما يظهر في البيان التالي

القرن الحادي عشر	حدث فيهِ	مجاعتان
« الثاني عشر	١٥	مجاعة
« الثالث عشر	١٣	«
« الرابع عشر	١٦	«
« الخامس عشر	٩	مجاعات
« السادس عشر	١٥	مجاعة
« السابع عشر	٦	مجاعات
« الثامن عشر	٧	«
« التاسع عشر	ضائقتان	

وكانت المجاعات فيها هائلة وعمومية حتى ان الاهالي اضطروا الى اكل لحم الخيل

(١) خطبة القيت في جمعية حلقة الادباء في المدرسة الكلية في ٦ شباط

والكلاب والفيران والقطط والانسان . وكانت جثث الموتى تشاهد في البيوت وفي الشوارع وفي الحقول حتى تعذّر على الاحياء دفن الموتى وقد حدث مثل هذه المجاعات في مصر وما بين النهرين وفي الهند وغيرها

وبعد هذه التوطئة ارجع الى الكلام عن المجاعات في الهند واليك تاريخها قبل الحكم الانكليزي

في القرن الحادي عشر	مجاعتان
» » الثالث »	مجاعة واحدة
» » الرابع »	ثلاث مجاعات
» » الخامس »	مجاعتان
» » السادس »	ثلاث مجاعات
» » السابع »	حتى سنة ١٧٤٥ اربع مجاعات

اما تحت الحكم الانكليزي فحدث في القرن الثامن عشر من سنة ١٧٦٩ الى سنة ١٨٠٠ سبع مجاعات وفي القرن التاسع عشر ٣١ مجاعة

وهذه المجاعات كانت مخيفة وخصوصاً ما حدث منها في القرن التاسع عشر ففي الربع الاول منهُ حدث ٥ مجاعات مات بها مليون نفس وفي الربع الثاني خمسمئة الف وفي الربع الثالث حدث ست مجاعات مات بها خمسة ملايين من النفوس وفي الربع الاخير حدث ثماني عشرة مجاعة مات بها ٢٦ مليوناً

واصحاب الخبرة والرأي يقولون ان اسباب كثرة المجاعات في الزمن الاخير ثلاثة — كثرة السكان وقلة المطر وقلة الحبوب فلنبحث عن السبب الاول وهو كثرة السكان فنقول

مساحة الهند بالنسبة الى المسكونة $\frac{1}{20}$ يعيش فيها $\frac{1}{5}$ الجنس البشري وبعض الاماكن فيها مزدحم بالسكان ازدحاماً كثيراً لكن البلاد ليست اكثر ازدحاماً من غيرها كما ترى من الجدول التالي وقد ذكر فيه عدد السكان بالنسبة الى الميل المربع في كل من البلدان التالية

في بلجكا	٥٨٩	في ايطاليا	٢٩٣٫٤٧
في هولندا	٤٥٤	في المانيا	٢٩٠٫٤
في انكلترا ووايلس	٤٠٥٫٦	في الصين	٢٦٦
في اليابان	٣١٧	في الهند	٢١١

فان كان ازدحام السكان هو السبب في المجاعات وجب ان تكون المجاعات في بلجكا

وهولاندا وانكلترا والمانيا اكثر منها في الهند لانها اقل منها سكاناً والتشم المزدحم منها هو بنغالا والمجاعات لا تنتابهُ الاَّ قليلاً

فالسبب في كثرة المجاعات ليس اذاً ازدحام السكان — فهل هو قلة المطر ؟ إن كثيرين من العلماء يقولون بهذا الرأي ومنذ عهد قريب القى اللورد مورلي خطاباً في انكلترا اشار فيهِ الى ان السبب الاكبر في مجاعات الهند قلة المطر فاذا اجتاحت البلاد المجاعات فلا يكون هو المسئول عنها اذ لا يمكنهُ ان يجري ما اجراهُ النبي ايليا على جبل الكرمل

ولم يعلم في تاريخ الهند ان الاهالي شكوا من قلة المطر لان الهند اكثر البلدان مطراً فقد تمطر في بعض الاماكن منها في يوم واحد قدر ما تمطرهُ في انكلترا في السنة كلها · والذين درسوا احوال المجاعات واسبابها يقولون انهُ اذا كان معدل المطر في بلاد ما عشرين عقدة فلا خوف على تلك البلاد من المجاعة · وقد لوحظ في سني المجاعات ان متوسط المطر في بلاد الهند كلها كان يزيد على عشرين عقدة ففي سنة ١٨٦٥ — ١٨٦٦ حين حدثت المجاعة الشديدة في اوريسا بلغ المطر فيها ستين عقدة وسنة ١٨٧٦ في المجاعة التي اجتاحت بومباي بلغ متوسط المطر خمسين عقدة وفي مجاعة مورس سنة ١٨٠٧ بلغ ٦٦ عقدة

وزد على ذلك ان البلاد ملأى بالانهار والينابيع والمجال واسع للري الصناعي وقد اشار الى ذلك الماجور فيليب فيسن في رسالة لهُ عن المجاعات في الهند فقال ان المياه غزيرة في الهند لا ينقصها الاَّ همة لتوزعها على الحقول فتكفي كل نفس وهذا لا يتسنى الاَّ بالري الصناعي

اما السبب الاخير وهو قلة الحبوب فكثيرون يعتقدون ضحنهُ والطرق المستعملة في الزراعة قديمة والفلاح جاهل والري مفقود ولكن الهند من البلدان الغنية بالحبوب فقمحها لا يفوقهُ الاَّ القمح الروسي والاميركي وذرتها وحمصها مشهوران وفي اشد مجاعاتها هولاً كانت غلاتها تفوق ما يحتاج اليهِ شعبها

وقد وجد في سنين المجاعات حين كان الناس يموتون بالالوف ان الهند كانت ترسل قمحها الى العالم ففي سنة ١٨٩٩ الى ١٩٠٠ اصاب الهند مجاعة شديدة وفي تلك السنة اصدرت قمحاً تعادل قيمتهُ ١٢ مليوناً من الجنيهات ومتوسط ما يصدر من الهند من مواد الطعام يبلغ ثمنهُ عشرين مليوناً من الجنيهات كل سنة · ويقال ان السبب الاكبر في المجاعات راجع الى تصدير القمح الهندي والدقيق الى انكلترا

وان كانت قلة الحبوب وسائر مواد الطعام في البلاد هي سبب المجاعات فلماذا لا تحصل

مجاعات في البلاد الانكليزية او في المانيا فان مواد الطعام التي تنتج في كل منهما لا تكفي سكانها ثلاثة اشهر

قال احد القسوس في خطاب القاهُ في انكلترا ان لمجاعات الهند اسبابًا لا يمكنني ذكرها وقال المستر دادابهي احد الاعضاء السابقين في البرلمنت الانكليزي ان بهظ الضرائب واصدار الحنطة من البلاد هما السبب في هذه المجاعات

ولعلَّ السبب الاكبر لمجاعات الهند هو ثقل الضرائب وتصدير الحبوب وعدم وجود الري

انتهى نقلاً عن الانكليزية بتصرف نجيب ملحم نصار

حساب العقود

هو احد فروع علم الحساب ويراد بهِ معرفة الاعداد من الواحد الى العشرة آلاف باوضاع خاصة في عقود الاصابع العشرة ولم اجد من عني بهِ في هذا العصر والظاهر انهُ عرف عند العرب قبل معرفتهم الارقام الهندية

وقد ذكرهُ صاحب كشف الظنون في جملة فروع علم الحساب فقال « ومنها علم حساب العقود اي عقود الاصابع وقد وضعوا كلاًّ منها بازاء اعداد مخصوصة ثم رتبوا لاوضاع الاصابع احاداً وعشرات ومئات والوفاً ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الالوف فما فوقها وهو عظيم النفع للتجار لاسيما عند امتجام كل من المتبايعين لسان الاخر وعند فقد آلات الكتابة والعصمة عن الخطاء في هذا العلم اكثر من حساب الهواء . وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة رضي الله عنهم كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ في التشهد انهُ عقد خمساً وخمسين يعني ان النبي صلى الله عليهِ وسلم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلق الابهام معها وهذا الشكل في العلم المذكور دالٌّ على العدد المرقوم فالراوي ذكر المدلول واراد الدال وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم » انتهى

ثم رأيت المقتطف قد ذكر في مقالة الارقام الهندية انهم لجأوا الى الاستعانة بالاصابع على العد والحساب ولم يشر الى هذا الحساب . وكنت رايت كلاماً لبعض الافاضل شرح فيهِ هذا العلم وبين كيفية اوضاع عقود الاصابع للدلالة على الاعداد فاحببت ان اتحف بهِ قراء المقتطف مع بعض تصرف في الترتيب لا غير قال : — ان القدماء وضعوا ثماني عشرة صورة من اوضاع الاصابع الخمس اليمنى لضبط الواحد الى تسعة وتسعين ومثلها من اوضاع

الاصابع الخمس اليسرى لضبط المائة الى تسعة آلاف ووضعاً واحداً لعشرة آلاف فيضبطون بتلك الاوضاع من الواحد الى عشرة آلاف

فجعلوا الخنصر والبنصر والوسطى من اليمنى لعقود الآحاد اي من الواحد الى التسعة ومن اليسرى لعقود آحاد الالوف التي هي من الالف الى تسعة آلاف وجعلوا السبابة والابهام من اليمنى لعقود العشرات اي للعشرة الى التسعين ومن اليسرى لعقود المئات اي للمائة الى التسعمائة وتفصيل ذلك

اوضاع اليمنى

١ (للواحد) تثني الخنصر بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع
٢ تثني البنصر كذلك
٣ تثني الوسطى كذلك
٤ ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى
٥ ترفع البنصر مع الخنصر وتثني الوسطى
٦ تثني البنصر فقط
٧ تثني الخنصر فقط
٨ تثني الخنصر والبنصر
٩ تثني الخنصر والبنصر والوسطى

وفي هذه الثلاثة تبسط الاصابع على الكف مائلة انامِلها الى جهة الرسغ لئلا تلتبس بالثلاثة الاول

١٠ تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كحلقة مدورة
٢٠ تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة الثمانية من السبابة التي تلي الوسطى بحيث يظن ان انملة الابهام اخذت من اصل السبابة والوسطى وان لم يكن لوضع الوسطى مدخل في ذلك لكون اوضاعها متغيرة بعقود الاحاد
٣٠ تضع رأس انملة البنلمة على طرف ظفر الابهام الذي يليها ليصير وضع السبابة والابهام كهيئة القوس مع وترها ويجوز ان يعرض للابهام انحناء ايضاً
٤٠ تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة الثمانية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً
٥٠ تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة

٦٠ تأخذ ظفر الابهام باطن العقدة الثانية للسبابة كما يفعلهُ الرماة

٧٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً

٨٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على مفصل انملتهِ طرف انملة السبابة

٩٠ تضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

اوضاع اليسرى

١٠٠ تثني الخنصر من اليد اليسرى بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع

٢٠٠ تثني البنصر كذلك

٣٠٠ تثني الوسطى كذلك

٤٠٠ ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى

٥٠٠ ترفع الخنصر والبنصر وتثني الوسطى

٦٠٠ تثني البنصر فقط

٧٠٠ تثني الخنصر فقط وتكون مبسوطة على الكف وانملتها مائلة الى جهة الرسغ

٨٠٠ تثني الخنصر والبنصر كذلك

٩٠٠ تثني الخنصر والبنصر والوسطى كذلك

١٠٠٠ تكوّن حلقة مستديرة بوضع ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام

٢٠٠٠ تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة الثانية من السبابة مما يلي الوسطى

٣٠٠٠ تضع رأس انملة السبابة على طرف ظفر الابهام ليصير من ذلك شبه قوس مع وترها ولو عرض للابهام انحناء لا يضر

٤٠٠٠ تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة التحتية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً

٥٠٠٠ تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة

٦٠٠٠ تجعل ظفر الابهام باطن العقدة الثانية من السبابة كما يفعلهُ الرماة

٧٠٠٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً

٨٠٠٠ تضع على مفصل انملة الابهام وهو منتصب طرف انملة السبابة

٩٠٠٠ تضع ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

١٠٠٠٠ تضع طرف انملة الابهام على طرف انملة السبابة بحيث يصير الظفران متحاذيين وبالجملة ان العقود الثانية عشر في اليمنى تضبط باوضاعها المذكورة هنا من الواحد الى التسعمائة والعقود الثانية عشر في اليسرى تضبط ايضاً باوضاعها التي تشبه اوضاع اليمنى شبهاً تامًّا من الالف الى التسعة الآلاف والوضع المفرد في اليسرى او في اليمنى يدل على عشرة آلاف فاذا كان عقد البنصر بوضع رأس الانملة على اصل الاصبع يدل في اليمنى على (الاثنين) فعقدهُ كذلك في اليسرى يدل على (المائتين)

واذا كان وضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام رمزاً للتسعين في اليمنى فهو كذلك رمز للتسعة آلاف في اليسرى وهكذا

النبطية احمد رضا

[المتطف] اسماء الاصابع على ترتيبها خنصر بنصر وسطى سبابة ابهام

الفلاحون والملاّك في اوربا

وكيف يستدينون المال

الفلاح عنوان ارتقاء البلاد وانحطاطها يشقى معها ويسعد بها فلا عجب اذا فاق الفلاح الاوربي غيرهُ في انشاء النقابات والبنوك التي تسهّل عليهِ استدانة المال وتكفيهِ شر المرابين

ولا يصعب على صاحب العقارات الواسعة ان يشتري الاسمدة والآلات الزراعية ويقوم بكل ما يلزم لاطيانهِ ولكن الفلاح الصغير الذي لا يملك الاَّ افدنة قليلة قلما يجد من يأتمنهُ على مالهِ فلا بد لهُ من اغراء اصحاب الاموال بدفع الربا الفاحش الذي يذهب بالقسم الاكبر من ربحهِ

ولما رأى الفلاحون الاوربيون انهم صائرون الى الخراب لاسيما بعد انشاء السكك الحديدية وتسهيل نقل الحاصلات الزراعية من بلاد الى أُخرى حتى صارت الحاصلات الاجنبية تباع في اسواقهم باثمان لا يمكنهم بيع حاصلاتهم بمثلها اجتمعوا وتآلفوا وانشأوا من النقابات والبنوك ما يسهّل عليهم استدانة المال بفوائد قلما يتوفق التجار الى الاستدانة بمثلها. ولا بدع في ذلك فان ما يصعب على الفرد لا يصعب على الجماعة . وبلغت اصواتهم ايضاً آذان حكوماتهم فسعت الى مساعدتهم اشفاقاً على اراضيها ان تبور وعلى فلاحيها ان يمسهم الشقاء . وللاستاذ بريس احد اساتذة جامعة اوهيو الاميركية فصل في هذا المعنى كتبهُ عبرة

لاهل الولايات المتحدة الاميركية ونحن نقتطف منهُ ما فيهِ عبرة لاهل الشرق لكي يروا ثقة الغربيين بعضهم ببعض وتناصرهم على اجتلاب الخير واجتناب الضير

قسم الاستاذ بريس الاموال التي يستدينها الفلاح الاوربي الى ثلاثة انواع . النوع الاول الاموال التي ترصدها الحكومة لهذا الغرض . والنوع الثاني الاموال التي يوفّرها الفلاحون واهل الارياف و يجمعونها في صناديق التوفير . والنوع الثالث الاموال التي تستلفها نقاباتهم وتؤمّنها برهن الاراضي

ولكل حكومة نظر يختلف عن نظر غيرها في تقديم المال للفلاحين . فالحكومة الفرنسوية تعطي البنوك الزراعية اموالاً لا تأخذ عليها فائدة وقد بدأت بذلك سنة ١٨٩٤ . وسنة ١٩١٠ بلغ راس مال البنوك التي انشأتها على هذه الطريقة ٧١ مليون فرنك و بلغ ما قدمتهُ لها من المال ٤٠ مليون فرنك . وقد حذا حذو الحكومة الفرنسوية في ذلك كثير من ولايات النمسا . اما في المانيا فانشأت الحكومة بنوكاً مركزية في المدن الكبيرة تقدم لها المال وتأخذ عليهِ فائدة ٣ في المئة وهذه البنوك المركزية تمد البنوك الزراعية التي تسلف الفلاحين بما تحتاج اليهِ من المال . وقد بلغ رأس مال البنك البروسي المركزي ٧٥ مليون مارك (٣٧٥٠٠٠٠٠ جنيه) كلها من الحكومة لكن هذا البنك لا يقتصر على تسليف البنوك الزراعية بل يسلّف النقابات والبنوك التي تعمل على ترقية الصناعة . وفي المانيا فريق يرى ان تحتفظ الحكومة باموالها والهُ يمكن مساعدة الفلاحين بطرائق اخرى تفضل هذه

والبنوك التي تجمع الاموال من النوع الثاني (اي التي يوفرها الفلاحون) منفعة في انها تعوّد اهل الارياف توفير المال وتجمعهُ منهم ثم تديتهُ للفلاحين بفوائد قليلة . وفي المانيا وحدها ١٦ الف بنك من هذا النوع يبلغ راس مالها ١٥ مليون جنيه كلها مما وفّرهُ اهل الارياف واودعوهُ فيها . وهذه البنوك تبقي مال كل مقاطعة فيها فيستفيد اهلها منهُ . اما المال الذي يودع في فروع البوستة او في صناديق التوفير الاخرى فيذهب كلهُ الى خزائن البنوك في المدن فلا يستفيد منهُ الفلاحون واهل الارياف

اما استدانة المال بواسطة النقابات التي ترتهن املاك الفلاحين وتضمن مال الدائن فبدأ في المانيا سنة ١٧٧٠ ولكن لم يستفد منهُ الفلاحون كثيراً الاّ في السنين المتأخرة . وقد بلغ المال المستدان على هذه الطريقة في المانيا ٢٠٠ مليون جنيه لا تجاوز فائدة المئة منها ثلاثة او اربعة

الفلاح في ولاية سكسونيا البروسية

موقع هذه الولاية في اواسط المانيا والوسائط التي تسهّل على فلاحيها استدانة المال كثيرة ولذلك نسهب في الكلام عليها وللقارئ ان يقيس بها الولايات الاخرى

ولاية سكسونيا (وهي غير مملكة سكسونيا) كثيرة السكان مساحتها ٩٧٥٠ ميلاً مربعاً وسكانها ٣٠٨٨٠٠٠ نفس فيصيب الميل المربع منها نحو ٣١٦ من السكان. وتربتها جيدة جداً يجود فيها البنجر الذي يستخرج منهُ السكر وفلاحوها اهل جد ونشاط ويستخدمون احدث الوسائل لحرث الارض وزيادة خصبها وهذا مما يدفعهم الى استدانة المال. ومتوسط ثمن الفدان فيها ستون جنيهاً ومتوسط الثمن في المانيا كلها ثلاثون جنيهاً. ولفلاحيها طريقتان في استدانة المال فاما ان يرهنوا املاكهم لنقابة الرهون العقارية واما ان يلجأوا الى بنوك التعاون الزراعي

نقابة الرهون العقارية

ظهرت اول نقابة على هذا الشكل سنة ١٧٧٠ اذ اتفق اصحاب الاراضي في شرق المانيا ان يكونوا عصبة واحدة يعاون بعضهم بعضاً على استدانة المال وضموا املاكهم كلها في رهن واحد امتوليه ما يستلفونهُ من المال فقويت ثقة المتمولين بهم فصاروا يعرضون المال عليهم بفوائد قليلة جداً ويهملونهم في ابانهِ ما شاؤا فرأت ذلك الطبقة الوسطى من الفلاحين واقتدت بهم

اما الفلاحون في ولاية سكسونيا فلم يقوموا بشيء من هذا الاَّ سنة ١٨٦٤ ولكن حرب سنة السبعين لم تمهلهم كثيراً فعطلت الاشغال واوقفت الاعمال ولم تستأنف نقابتهم اعمالها بجد ونشاط حتى سنة ١٨٨٠. وتبلغ ديون الفلاحين في تلك الولاية الآن ٤١ مليون جنيه منها ١١ مليوناً تضمنها النقابة ولا يزال الدين الذي تضمنهُ آخذاً بالازدياد وانواع الديون الاخرى تتناقص ولكن لا ينتظر ان يأتي يوم تصبح فيهِ مرجع الفلاح الوحيد في استدانة المال لان كثيرين من الفلاحين يستدينون من انسبائهم واصدقائهم

كيف تأتي نقابة الرهون العقارية بالمال

هذه النقابة عبارة عن انضمام الفلاحين وتعاونهم على استدانة المال ولا غرض لها غير ذلك فاذا زاد دخلها على نفقاتها لا توزع الزيادة على الاعضاء بل تضيفها الى المال الاحتياطي. ويشترط في من يريد الانضمام اليها من الفلاحين ان يملك من الاراضي ما يدفع عنهُ اربعة جنيهات ونصف جنيه او اكثر ضرائب للحكومة

وقد وافقت الحكومة البروسية على قوانينها وناطت امر مراقبتها والسهر عليها بنظارة الزراعة . والنقابة حرة في ان تنتخب من يريده الاعضاء لادارة شؤونها والقيام باشغالها ولكن لا بد من موافقة الحكومة على انتخاب موظفيها الكبار . وطريقتها في تسليف الفلاح ان ترهن اطيانهُ ثم تصدر سنداً بقيمة الرهن وتبيعهُ وتعطي ثمنهُ للفلاح . ولا تسلف فلاحاً اكثر من ثلثي قيمة اطيانهِ

وتختلف سندات النقابة عن غيرها من السندات في اربعة امور . اولاً ان كل سند منها تضمنهُ النقابة بكل ما عندها من عقار ورهون ولا ينفرد في ذلك الفلاح الذي ينتفع بهِ وحدهُ . ثانياً انهُ يمكن بيعهُ وشراؤهُ من دون تجيير . ثالثاً انهُ لا يستحق في ميعاد معيَّن . رابعاً ان ليس للدائن ان يجبر النقابة على ايفائهِ دينهُ واسترجاع السند وللنقابة ان تجبرهُ على استيفاء مالهِ وارجاع السند اليها . فلها مثلاً ان تدفع قيمة السند بعد اصدارهِ باشهر قليلة ولها ان تؤخر ذلك ما شاءت ولكنها لا تصدر من السندات ما تزيد قيمتهُ على قيمة الرهون التي لديها

واشغال النقابات التي من هذا النوع تسير على غاية الضبط والدقة ولاصحاب الاموال ثقة قوية بها حتى انهم يفضلونها على غيرها . ولا يفضلها في الاسواق المالية الاَّ سندات الحكومة ولكن هذه قد تهبط اسعارها اذا خاف الناس من نشوب حرب اما تلك فقد ترتفع عند ذلك لان عقار الفلاح ضمان ثابت لا يؤثر فيهِ اضطراب الامن وانقلاب الحكومة

اما معدل الفائدة فيختلف في بعضها عما هو في البعض الآخر . فهو في البعض ٣ في المئة وفي البعض ٣½ وفي البعض ايضاً ٤ في المئة . وللفلاح الخيار في ان يستدين على معدل الفائدة الذي يفضلهُ الاَّ ان اسعار السندات تختلف باختلاف الفائدة . فالسند الذي فائدتهُ ٤ في المئة اغلى من السند الذي فائدتهُ ٣ فقط . مثال ذلك اذا اراد الفلاح ان يستدين مئة جنيه فاذا تعهد بدفع ٤ في المئة فائدة سنوية اعطاهُ صاحب المال ٩٠ جنيهاً واخذ منهُ سنداً قيمتهُ مئة جنيه . اما اذا تعهد بدفع ٣ في المئة فلا يعطيهِ الاَّ ٨٠ جنيهاً فقط ويأخذ منهُ السند الذي قيمتهُ مئة جنيه

وفي شهر يوليو سنة ١٩١٢ كانت اسعار هذه السندات كما يلي

السند الذي فائدتهُ	٣	في المئة سعر مئتهِ	٨١
»	٣½	» »	٩٠
»	٤	» »	٩٩٫٨

وكانت سندات الحكومة التي فائدتها ٤ في المئة تباع مئتها عند ذلك اي ان الفرق بينها وبين سندات الجمعية من النوع الاخير عشران في المئة او اثنان في الالف

فالفلاح الذي استدان الف جنيه في يوليو سنة ١٩١٢ بفائدة ٣ في المئة استلم منها ٨١٠ جنيهات فقط واصبح مديناً بالف يدفع عنها كل سنة ٣٠ جنيهاً والذي استدان الفاً بفائدة ٣ ½ في المئة استلم منها ٩٠٠ جنيه واصبح مديناً بالف يدفع عنها ٣٥ جنيهاً كل سنة والذي استدان الفاً بفائدة ٤ في المئة استلم منها ٩٩٨ جنيهاً واصبح مديناً بالف جنيه يدفع عنها ٤٠ جنيهاً كل سنة

واذا تحسنت السوق المالية دفع الفلاح ديونهُ القديمة واستدان غيرها بشروط اخف من الاولى اما اذا عزّ المال وارتفعت الفوائد فليس لاحد ان يضطرهُ الى ايفاء دينهِ او زيادة ما يدفعهُ من الفائدة السنوية

النقابة المركزية

وسنة ١٨٧٣ أُلفت نقابة مركزية في برلين لكي تضم النقابات التي من هذا النوع وتروّج سنداتها في بورصات العالم الكبيرة لكنها لم تصل الى الغرض المطلوب اذ هبط سعر هذه السندات لما كثرت في بورصة برلين . وكل من اصحاب الاموال يفضل ان يشتري سندات النقابة المختصة بولايتهِ لانهُ يرى سيرها ويثق بها اكثر مما يثق بغيرها . وتبلغ قيمة السندات التي اصدرتها نقابة الرهون العقارية لولاية سكسونيا ١١ مليون جنيه كما تقدم وليس منها في ايدي المتمولين خارج تلك الولاية الاَّ ما قيمتهُ خمس هذا المبلغ[1]

استهلاك السندات

واستهلاك هذه السندات تدريجي الزامي على المديون ولا يزيد المبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة على ½ في المئة ولا ينقص عن ½ في المئة من قيمة السندات الاصلية تستوفي النقابة

(١) [المقتطف] وتبلغ قيمة كل السندات المتعامل بها الآن في بروسيا ٥٤٥ ٩٣٤٩٣٠٠ ماركاً اي نحو ١٥٤ مليون جنيه اي ان بروسيا وحدها اكثر من اربعين مليوناً لا تزيد ديون الفلاحين فيها على ١٥٤ مليوناً من الجنيهات . ومساحة الارض الزراعية والكروم والبساتين في المانيا كلها ٦٥ مليون فدان ومساحة المروج والمراعي ٢١ مليون فدان ومساحة الحراج والغابات ٣٥ مليون فدان وسائر الاراضي ١٢ مليون فدان والجملة ١٣٣ مليون فدان تثمنها على الاقل في بروسيا اي نحو ٨٤ مليون فدان فيخص الفدان منها اقل من جنيهين وعلى هذا القياس يجب ان لا يكون دين الفلاحين في مصر اكثر من احد عشر مليوناً من الجنيهات

٤ في المئة زيادة عليهِ لكي تقوم بنفقاتها . فاذا كانت فائدة السند ٤ في المئة والمبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة ٤ في المئة استوفت النقابة ٤ في المئة فوق ذلك فيصبح ما يدفعهُ الفلاح كل سنة ٥ في المئة لا غير من قيمة السند . ولهُ فوق ذلك ان يوفي السند كلهُ او ان يوفي قسماً منهُ اي وقت اراد . وفي الغالب لا يمضي على السند ٢٥ سنة الاَّ ويستهلك كلهُ . واذا استهلك من السند عشرهُ حق للفلاح ان يستدين ايضاً فيمكنهُ بهذه الطريقة ان يبقى منتفعاً بكل ما تخوَّلهُ اطيانهُ ان يستغلهُ من المال

وقد قسمت النقابة ادارة الولاية الى اقسام صغيرة لها سيف كل منها وكيل يقوم مقام الوسيط بينها وبين الفلاحين فلا يضطر الفلاح الى الذهاب الى المركز اذا اراد استلاف المال ولا يضطر عمال النقابة ان يأتوا الى مزرعة الفلاح كما كان لهم شأن معهُ

شركات التعاون الزراعي

نقابات الرهون العقارية عون كبير للفلاح الالماني لكن بعض الفلاحين لا يمكنون اطيانًا او يمكنون ما لا يخوَّلهم حق الانضمام اليها . وقد يحتاج الفلاح ايضاً الى شيء من المال لستة اشهر او تسعة اشهر لشراء البذار والمواشي والاعدة ويمكنهُ ان يوفي ذلك من ثمن موسمهِ فليس من مصلحتهِ في مثل هذه الحال ان يرهن اطيانهُ للنقابات فلا بد اذن من سد هذا الخلل

في اواسط القرن التاسع عشر قام في غرب المانيا رجل يقال لهُ ريفسن دعا الفلاحين الى تأليف شركات تعاون تنشئ بنوكاً تقوم بهذا الغرض . والبنوك التي انشئت حسبما اشار ريفسن اربع ميزات (الاول) ان الفلاحين الذين يؤلفون الشركات يضمنون ديونها جميعهم وان كلاً منهم يضمن بكل املاكهِ (والثاني) ان كلاً منها يسلف الفلاحين الذين من مقاطعتهِ ولا يسلف سواهم ابداً (والثالث) انها لا توزع ارباحاً على الاعضاء بل تدفع للذين يودعون اموالهم فيها اربعة في المئة فائدة سنوية وما زاد من دخلها على ذلك اضافتهُ الى المال الاحتياطي فيها و (الرابع) انها لا تدفع اجوراً لمستخدميها الاَّ للكاتب الذي يضبط الحسابات ومن بقي من الموظفين في الشركة والبنك ينتخبهُ الاعضاء فيقوم بالخدمة تبرعاً

ولهذه البنوك منافع كثيرة وهاك مثالاً من اعمالها . اذا اراد فلاح ان يحفر مصارف في ارضهِ فمجلس ادارة البنك من جيرانهِ واصدقائهِ فينظر في ذلك فاذا رأى ان انشاء المصارف يفيد الارض اعطاهُ المال اللازم لذلك وكان جيرانهُ كلهم اعواناً لهُ لانهُ يشتغل

بالمرابين فان حبطت مساعيهِ خسروا هم . وان لم يرَ المجلس فائدة من انشاء المصارف منع المال عنهُ ونصحهُ بالاقلاع عن رأيهِ

والبنك يمهل الفلاح في ايفاء دينهِ اذا احل موسمهُ او طرأ عليهِ ما اقعدهُ عن العمل اضطراراً . وقد انشئ كثير من هذه البنوك في جميع البلدان الاوربية لكنها تختلف بعضها عن بعض ولتكيّف في بعض الجهات لكي تلائم احوال الفلاحين وحاجاتهم

البنوك الزراعية في ولاية سكسونيا

الفرق الاكبر بين هذه البنوك والبنوك التي انشئت حسب مشورة ريفسن هو انها تحدد المبلغ الذي يضمنهُ كل من الاعضاء . فالفلاح الذي يملك من الاطيان ما قيمتهُ خمسة آلاف جنيه لا يرضى ان يجعلها كلها ضماناً للبنك الذي لا يكون لهُ فيهِ من الحقوق اكثر من جارهِ الذي لا تزيد قيمة املاكهِ على مئتي جنيه . فمنعاً لذلك رأت هذه البنوك ان تجعل القيمة التي يضمنها كل من الاعضاء معادلة لحصتهِ في البنك لا لاملاكهِ الخاصة

وغرض هذه البنوك تسهيل استلاف المال على الفلاحين لا تشغيل الاموال والحصول على الربح . وفي سكسونيا ٦٦٠ بنكاً منها ولكل بنك نحو مئة عضو . وقد ينضم بعضها الى بعض فتقيم لها جمعية عمومية او بنكاً مركزيًّا مشتركاً بينها . وفي مدينة هال بنك يدعى البنك التعاوني المركزي لا يشترك فيهِ الاَّ هذه البنوك الزراعية المتفرقة . وفيها ايضاً شركة لشراء الغلال وبيعها واخرى تدعى اتحاد الشركات التعاونية وهي بمنزلة الرقيب على الشركات والبنوك المشتركة فيها تنظر في حساباتها ومعاملاتها وتنبهها الى اماكن الخلل

ولهذه الشركات والبنوك منافع كبيرة غير المنافع المالية فانها توسع مدارك الفلاحين وتقرب بهم بعضهم من بعض . واذا كانت من النوع الذي انشئ حسب مشورة ريفسن جعلت كل فلاح في القرية يتمنى النجاح لكل فلاح آخر لان خسارة الواحد خسارة للكل . وقد شهد كثيرون انها عامل كبير في الردع عن السكر والاسراف والحث على الاجتهاد . فاذا تطوح الفلاح في شرب المسكرات مثلاً او توانى عن اصلاح مزرعتهِ علمت الجمعية انهُ صائر الى الخراب لا محالة فانذرتهُ فان لم يرتدع اجبرتهُ على ايفاء ديونهِ

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ بريس فعسى ان يكون فيهِ مرشد للذين يهتمون الآن بانشاء النقابات الزراعية في القطر المصري

جمعية الهلال الاحمر المصرية

بقلم احد اطبائها

قامت جمعية الهلال الاحمر المصرية بخدمات جليلة للعثمانيين في حربهم مع ايطاليا في طرابلس الغرب . وما شبَّت نار الحرب البلقانية حتى قام اعضاؤها برئاسة الامير محمد علي باشا وجمعوا مالاً طائلاً وارسلوهُ الى تركيا لتنشئ بهِ مستشفى في ادرنه

ولا بدع ان هزت الاريحية معاطف المصريين لاغاثة اخوانهم العثمانيين فالروابط الدينية التي تربط الفريقين متينة جدًّا ولا اظنني مخطئاً اذا قلت ان هذه الحرب في نظر الفلاح المصري دينية اكثر منها سياسية — اي انهُ لا يعرف انها نتيجة سوء الادارة العثمانية في القرون الماضية

ولما اتسع نطاق الحرب رأت جمعية الهلال الاحمر المصرية ان ترسل الى ساحات القتال بعثات مجهزة بجميع ما يلزم لاسعاف الجرحى . فارسلت لهذا الغرض اربع بعثات طبية وكان كاتب هذه السطور في البعثة الثانية واليك بعض ما قامت بهِ هذه البعثات وبعض ما شاهدتهُ في الحرب الحاضرة

كانت البعثة الاولى مؤلفة من مستشفى ميدان وسبعة اطباء اكثرهم من اطباء الجيش المصري السابقين فلم يكن ما انتدبوا لهُ امراً جديداً لديهم وكانت مجهزة بجميع اللوازم وفيها متون رجلاً يعينون الاطباء و يعتنون بالدواب وامور النقل وغيرها وسبعون بغلاً لنقل الاثقال . ولما وصلت الى الاستانة أُرسلت حالاً الى خطوط العثمانيين الامامية فضربت خيامها بالقرب من چتالجه

و برد الهواء وكثر المطر بعد عقد الهدنة حتى لم تعد الخيام التي اعدتها البعثة تصلح لإيواء الجرحى والمرضى فاقيم لها سقيفة من الخشب في خادم كوي (وكانت اذ ذاك المركز العمومي لقيادة الجيش العثماني) . وقاست ما قاساهُ سائر الجيش العثماني من قلة الاطعمة . والحق يقال ان تقصير الموكلين بارسال المؤنة للجيش هو السبب الاكبر في فشلهِ . فقد رأينا ضباطاً قضوا ثلاثة ايام لم يذوقوا فيها طعاماً واخبرنا بعض الجنود انهم بقوا ثمانية ايام او تسعة بلا قوت في واقعة لولو برغاس و بعدها . وفي چتالجه نفسها وهي على ٢٥ ميلاً فقط من الاستانة لم يكن للجنود ما يكفيهم من القوت . واليك حادثة صغيرة يظهر منها ما وصل اليهِ

الضباط انفسهم . وكب بعض رفاقنا من الاطباء المصريين ذات يوم القطر الذي يسير من خادم كوي الى الاستانة واتفق ان كان معهم في المركبة التي كانوا فيها ثلاثة ضباط عثمانيين . فلما قام القطر بهم اخرج احد هؤلاء الضباط كسرة من الخبز اليابس فاقتسمها هو ورفيقهُ . فما كان من الضابط الثالث الذي لم يكن الاثنان الاولان يعرفانهِ على ما يظهر الاَّ ان رجاهما ان يعطياهُ قطعة منها يتعلَّل بها . فمدَّ اليهِ الضابط الاول القطعة التي بقيت لهُ لكي يكسر منها كسرة صغيرة لكنهُ بقي ممسكها بكلتا يديهِ لئلا يكسر منها اكثر من نصفها . فلما شاهد اطباؤنا ذلك بادروا الى تقديم الطعام للضباط مما كان معهم فاكلوا وشبعوا بعد ان كانت قد انقضت عليهم شهور لم يأكلوا طعاماً مثل ذلك

ولقي رجال البعثة الاولى كل حفاوة وترحيب من الضباط العثمانيين الذين رأوهم وسمع لهم ان يروا خطوط التحصين في چناجه كلها ولم يسمح بذلك للبعثات التي تلتهم لانهُ حظر الذهاب الى حصون چناجه لا سيما بعد ان قضى طبيبان انكليزيان يوماً كاملاً يجولان فيها ويصوّرانها بدون استئذان . ولما علم ارباب الامر انهُ يسهل على الغريب الوصول اليها وتصويرها شددوا في عدم السماح لاحد بالدنو منها

وكانت البعثة الثانية (وكاتب هذه السطور منها كما تقدم) مؤلفة من مستشفى فيهِ مئتا سرير ولا ينقصهُ شيء . وكنا قد اتينا من مصر بكل ما يلزمنا من امرة وكتان وثياب للجرحى وطاولتين للعمليات الجراحية وكل ما يلزم المستشفيات وادوية ورفائد وجهاز لاشعة رنتجن وعدة لفحص البكتريولوجي وآنية للطبخ وكل ما يحتاج اليهِ الاطباء والمرضات من الاثاث وزاد كافٍ لإطعام البعثة والجرحى الذين تعتني بهم مدة شهرين . واكثرنا من الزاد لانهُ كان قد بلغنا ان الناس يموتون جوعاً في الاستانة وذلك صحيح ولكن لم يكن سببهُ قلة الاطعمة في المدينة بل كثرة اللاجئين اليها واختلال الاحوال فيها . ولقد كفانا احتياطنا للامر مؤونة السعي للحصول على الاطعمة

اما رجال البعثة فكانوا مزيجاً من الاوربيين والمصريين فقد كان مديرها طبيباً المانياً سبقت لهُ خدمة كجراح في البحرية وكان كاتب هذه السطور الانكليزي الوحيد فيها . ومن بقي من الاطباء وهم خمسة مصريون وواحد منهم مختص باشعة رنتجن . ثم انضم الينا طبيب وبكتريولوجي وعشر ممرضات من الالمان امدتنا بهم جمعية الصليب الاحمر . وكان معنا ٢٥ من الاعوان للمستشفيات وطباخ وحلاّق ونجار . وبعض هؤلاء الاعوان كانوا سفي طرابلس الغرب ويحسنون التركية والعربية فكانوا لنا تراجمة حتى تعلمنا من التركية ما

يكفينا . وكان بعض المصريين يحسنون الالمانية والفرنسوية والانكليزية فلم يصعب علينا التفاهم مع من انضم الينا من الالمان

وأعطينا مدرسة في مكان يعرف بكاريك على العدوة الاسيوية من البسفور بالقرب من القصر المجور فيه على السلطان السابق عبد الحميد فحوّلناها الى مستشفى عالجنا فيه كثيراً من الجرحى . ومن الذين عالجناهم كثيرون من الذين اصيبوا بجراح من رصاص البارود او قنابل شرابنل وغيرهم ممن اضرّ بهم الصقيع . وقد شاهدنا جراحاً غريبة نشأت عن رصاص البارود . ومن المعلوم لدى الجراحين العسكريين ان الرصاصة تسير في الجسم غالباً في طرق لا تخطر على البال . وقد شاهدنا جرحاً من هذا النوع في جندي اصابته رصاصة عند كتفه اليسرى فنفذت في القسم الاسفل من عنقه الى ان استقرت في الغدة الدرقية الى يمين القصبة ولم تؤذِ الاوعية الدموية ولا غيرها مما في العنق . وقد يصعب تصديق ذلك ولكنا شاهدناه بانفسنا . ولا نقل هذه الحادثة في غرابتها عن حادثة الرصاصة التي اصابت احد الجنود في الحرب التي ثارت في جنوب افريقية عند تولوته ثم استقرت في عقب قدمه الايمن

وكان في سان ستفانو نحو خمسة آلاف من الجنود المصابين بالكولرا والدوسنطاريا ولم يكن لهم مأوى ولا ملجأ ولا طبيب يعتني بهم فارسلت بعثتنا فريقاً منها لاسعاف المأمورين العثمانيين الذين كانوا يعيشون لهم المأوى فاقاموا لهم احدى عشرة سقيفة كبيرة من الخشب في موقع جميل على أكمة تطل على بحر مرمرا . وكانت تسعة من هذه السقائف ملاجئ يسع كل منها ستين مريضاً وجعلت الثنتان الباقيتان محجراً للناقهين يحجر عليهم فيه خمسة ايام قبل ان يسمح لهم بالخروج . فان كان الناقه من صف الجند الظابط وكانت حالته تمكنه من العودة الى الجيش اعيد اليه ثانية وان كان من صفوف الجيش الاخرى سمح له في الغالب بالعودة الى بيته

وكان على مقربة من هذه السقائف مستشفى لجمعية الصليب الاحمر الانكليزية يسع نحو ١٥٠ سريراً ويتألف من تسعة بيوت بنيت برب الورق Papier Mâobé فكانت دافئة واسباب الراحة متوفرة فيها

وعلى مقربة من ذلك المكان مدرسة يونانية وضع فيها اربعون سريراً وكان فيها قبل ذلك عندما بدأ تفشي الدوسنطاريا والكولرا ٤٠٠ مريض ينامون على الارض لا غطاء ولا

وطاء . وكان بالقرب من محطة السكة الحديدية اربع مقانف من الخشب جُعلت لايواء الذين لم تُثقل عليهم وطأة المرض

واقام بكتريولوجي بعثتنا معملهُ البكتريولوجي في سان ستفانو واثبت وجود جراثيم الكولرا ثم استلم ادارة المعمل بعد ذلك بكتريولوجي مصري مشهود لهُ بالكفاءة . اما نحن الذين كنا نعالج المرضى فرأينا ان حوادث الكولرا لم تكن اكثر مما تكون عادة عند تعبئة الجيوش العثمانية وان الدوسنطاريا والجوع والبرد لم تكن اقل منها فتكاً . ولما اشتد الحر في نوفمبر بلغ عدد الوفيات كل يوم سبعمئة في الفرق المرابطة في الخطوط الامامية وثلاثمئة في سان ستفانو ثم قلّ عدد الوفيات لما برد الهواء

وكنت موكلاً باحدى المقانف الخشبية الكبيرة التي على الاكمة ووجدت في عملي لذة وفائدة . ومما زادني رغبة في العمل انني كنت اعمل ما عملهُ ابي قبلي منذ خمس وثلاثين سنة اذ خدم الجيش العثماني بطبيبٍ في الحرب الروسية العثمانية

وعلى مقربة من سان ستفانو نصب اقامةُ الروس ذكراً لضباطهم وجنودهم الذين قتلوا في تلك الحرب (١٨٧٧ — ١٨٧٨) وخمسة عشر الفاً من الروس فتكت بهم الكولرا لما كان جيشهم هناك

وكانت البعثة الثالثة مؤلفة من ٢٠ طبيباً مصرياً لمقاومة الكولرا فانقسمت الى فريقين فريق قام على العناية بمستشفى فيهِ اكثر من الف فراش في مكان يعرف بجال تپه وفريق اقام في سان ستفانو . ولما استؤنفت الحرب اقيم في سان ستفانو مستشفى صغير للجرحى

وكان الامن مستتباً في الاستانة ولم يظهر من مسلميها اقل عداء لمسيحييها ولا عدوا هذه الحرب حرباً دينية ومن المؤكد ان معظم الجنود لم يحسبوها دينية ايضاً . ولكن مظهر المدينة كان يدل على الحرب فلا ترى في الاسواق الاَّ جنوداً وضباطاً ولا تأتي الساعة السابعة مساء حتى تبطل كل حركة . وحُظر على الناس الخروج بعد الساعة العاشرة واغلقت محال الاجتماعات العمومية الاَّ في بيرا (حي الافرنجيين) حيث بقي مشهد او مشهدان يعرضان الصور المتحركة وقاعة موسيقية يتردد اليها المكاتبون الحربيون الذين بقوا في الاستانة

ومما يذكر بالاسف كثرة الحرائق في الاستانة فلم يكن ينقضي اسبوع الاَّ وتشب النار في جهة منها فتلتهم مئتي بيت او ثلاثمئة ورجال المطافئ هناك على جانب كبير من الشجاعة والاقدام ولكن اكثر البيوت من الخشب ووسائط استحضار الماء تكاد تكون معدومة وللقارىء بعد هذا ان يتصور النتيجة

وبعد ما حدث انقلاب الوزارة ظهرت روح جديدة في الشعب والجيش . فاخذ الناس يؤلفون فرق المتطوعين وبدأ الجيش بالمران والمناورات وكان قد اهمل ذلك من قبل . وكنت ترى كل من تلقاهُ واثقاً بالنصر للجيش العثماني يؤمل انهُ يهزم جيوش البلغار ويسترد منهم ترافية ويرفع الحصار عن ادرنه . وكل ما اشيع عن اختلاف الضباط واقتتالهم بعضهم مع بعض عارٍ من الصحة . وكانت اميالنا مع العثمانيين لكننا نرى ان شروط الصلح شائنة لهم مع انهُ ربما كان عقد الصلح خير ما تعملهُ الحكومة في الاحوال التي وصلت اليها

وكان لسان حال كل واحد يردد دعاء احد كتاب الانكليز الذي قال مخاطباً الكلترا « ان كان قد دنا القضاء عليك فليكن ذلك القضاء شريفاً . وان كان لا بدَّ من غرقك فليكن في الدم والنار وتجرّعي معك اكثر من شعب واحد يشاركك في سقوطك . واضرع الى الله ان يكفيك عار ميتة بطيئة تصل بك قبل الانقراض الى حالة تمسين فيها هزءاً وسخرية لاعدائك الذين لا يسعهم على حسدهم وبغضهم للشر الاَّ ان يخافوك ويجلّوك رغماً عن انوفهم »

وحاول انور بك ان ينزل بلا بعين الف جندي الى البر في رودستو (وهي متوسطة بين غاليبولي وچتالجه) او بالقرب منها لكي يفصل بين جيشي البلغار في غاليبولي وچتالجه . وطُلب من جمعية الهلال الاحمر المصرية ان تجهّز مستشفى لهذه الحملة فاعددت عدتي انا وطبيبان مصريان لكي نلحق بها وهيأنا مستشفى يسع مئتي جريح واعددنا ما يلزم من كتان وثياب للجرحى وطاولات للعمليات الجراحية وزاد يكفينا اسبوعين قبل ان تبدأ المؤنة بالوصول الينا وصولاً منتظماً . الاَّ ان انور بك لم يفلح في عمله هذا لسوء الحظ فذهبت اتعابنا سدًى

وكانت البعثة الرابعة مؤلفة من باخرة حوّلت الى مستشفى تجول في بحر ايجه لنقل جرحى العثمانيين من سلانيك الى ازمير واعانة العثمانيين البائسين الهاربين من وجه البلغار

وبلغتنا اخبار كثيرة عن الفظائع التي ارتكبها البلغار واخشى ان تكون صحيحة . وقد قيل انهم قتلوا كل رجل تركي التقوا بهِ ولم يحجموا عن التعرض للنساء

وجاءنا الينا في سان ستفانو صبي تركي عمرهُ نحو ست سنوات اذ لقي من عنايتنا بهِ ما لم يلقهُ من ادارة البوليس وكان يحكم التركية جيداً مما يدل على انهُ من عائلة راقية لكن اباهُ وامهُ قتلهما البلغار ثم تبنّاهُ احد الاطباء المصريين واتى بهِ الى مصر

وقد اقتصرت في ما تقدم على ذكر القليل من الامور التي رأيتها والتي سوف تبقى في ذاكرتي ما دمت حيًّا

الفقر والفقير (١)

ايها السادة

في الارض سؤال لم تزل تُلقيهِ اطماع الناس في كل عصر من عصور الحياة ولا تصيب لهُ جواباً مقنعاً لان الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة فهو يسأل سؤالاً غير محدود و يريد بطبيعتهِ جواباً غير محدود . هذا السؤال احد ثلاثة في حقائق الانسانية الضالّة عن الانسان نفسهِ في غيب الله - يقول ما هي الروح التي تُعطي الحياة . ونقول آمالهُ ما هو الموت الذي يسلب هذه الحياة . ونقول اطماعهُ وما هو الفقر الذي يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك تساءل ما هو الفقر . على انهُ ما غيّرَ الفقر سؤال في كل نفس انسانية معنىً من جوابهِ ولا غير الفقر قبر الاماني الذي لم يخلق الله نفساً من النفوس الاّ ولها ميتٌ من الأمل في ترابهِ . بلى واذا كان في لغات الاقوام لفظ خالد فانما هو الفقر . واذا كان في هواجس القلوب معنى خالد فانما هو خوف الفقر . واذا كان للدموع الانسانية مصب واحد تلتقي اليهِ من جهات الارض فانما هو بين شاطئين ان جاز أن يكون احدهما الحب فان من المحقق ان احدهما الفقر

ان هذه الارض لتصيح في كل يوم ولا يمكن ان يقال بحق ان فيها عملاً انسانياً عاماً غير طلب المال فأحرِ بها ان تمسي في كل يوم ولا يمكن ان يقال ان فيها معنى انسانياً عاما غير راجع الى الفقر . ويقولون انها تدور حول قرص الشمس وهو قول فلكي او سماوي يصح اطلاقهُ على الارض كهيئتها يوم خلقها الله او على الاقل كما خلقها . اما الحقيقة الارضية فانها تدور حول قرصين قرص اللهب وقرص الذهب . ويا لله وللفقير . انهُ دائماً في الجهة المظلمة

الفقر متى القيتهُ سؤالاً عاد اليك بجواب نفسهِ لانهُ فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة . وليس في الناس جميعاً من يصدق اذا ادعى انهُ لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنيّ جنّ من فرط الغنى وفقير جنّ من فرط الفقر . فالاول لا يعرف الفقر في جنونهِ لانهُ جنّ يغيره والثاني لا يعرفه لانهُ جنّ بهِ ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذي احاط بهِ الجهل حتى انهُ ليجهل نفسهُ . وابينا اتجه اشاح عنهُ الناس بوجوههم فلوّوا رؤوسهم وصعّروا خدودهم واموالوا اعناقهم حتى كأن

(١) خطبة للفاضل مصطفى افندي صادق الرافعي في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ١٦ ابريل سنة ١٩١٣

كل رأس في التواء عنقهِ من الشموخ والاستكبار يمثِّل علامة استفهام اقيمت في وجه هذا المسكين او علامة الكار

من هو هذا الحي الذي تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شيء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شيء واحد وهو الغنى فقضت عليهِ شرائع الاجتماع ان ينفق من حياتهِ اضعاف ما يكسب لحياتهِ . فهو اذا كدح في العمل طوال يومهِ فقوت هذا اليوم عليهِ كثير ، واذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع قاطعهُ من جسمهِ فذلك عليهِ يسير ، واذا ذاب في الشمس وجمد في البرد فهو عند الاغنياء ذو طبيعتين لانهُ فقير !

من عسى ان يكون هذا القوي الذي يختصمهُ المجتمع كلهُ ويخشى ان يرتفع فيكون « قاضياً » عليهِ ، ويأخذهُ اليوم بالجناية وهو الذي اوحاها بالامس اليهِ ، ومن هذا الذي يرى المجتمع انهُ اذا قُدِّر للشريعة ان تُلحد في قبر فلن تُدفن الاَّ في هاوية من مظالمهِ ، واذا حكم الله على عصرٍ من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها الاَّ من ذراعيهِ واصابعهِ ؟

من هو الذي يجفُّ ريق الارض لو جفَّ عرقهُ من ترك العمل ، ويخيب املهُ مع ذلك في كل غنيٍّ وهو نفسهُ للاغنياء اكبر اسباب الامل . يُدِلُّون عليهِ بالغنى ولولا انَّ في فضتهم عنصراً من دمعهِ الثمين لما وجدوا لها قيمة ، ولو لم يكن في ذهبهم روح من دمهِ الكريم لما عُدَّ افضل المعادن الكريمة

ذلك ايها السادة هو المدرج في اكفان النسيان ، الذي ليس لهُ في الناس الاَّ منكر ونكير ، ذلك هو البائس في بني الانسان ، الذي يكثر عليهِ القليل ويقل منهُ الكثير ، ذلك هو المتناقض في نفسهِ حتى لا يصغر ان يقال فيهِ صغير ولا يكبر ان يقال كبير ، ذلك هو الذي يشبه ان يكون عملهُ حركة ملكية في الارض لآلة الغنى . ذلك كلهُ هو الفقير

بالله ما تحمل الارض انساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يتعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ في هذه الارض كأنهُ الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها ، وعذابها ، ويستعيذ برحيمها ، من جحيمها ، ويفرُّ من امهِ وابيهِ ، وصاحبهِ وبنيهِ ، ويضع في ميزانها آمالهُ ، فلا يزن الاَّ اعمالهُ ، ويستصرخ كل من يمرُّ بهِ فلا يسمع الاَّ قائلاً يقول نفسي نفسي ، ويذكر كل انسان بعودتهِ وكل انسان هنالك قد نسي او انسي ، فينظر فاذا هو في الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلاً ، ومنفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلاً ، واذا هو بالسماء وقد التهبت باقدارها حتى كأنها في عينهِ جمرة من البرق اخاطف واذا الارض قد ثارت باهلها كرمادٍ

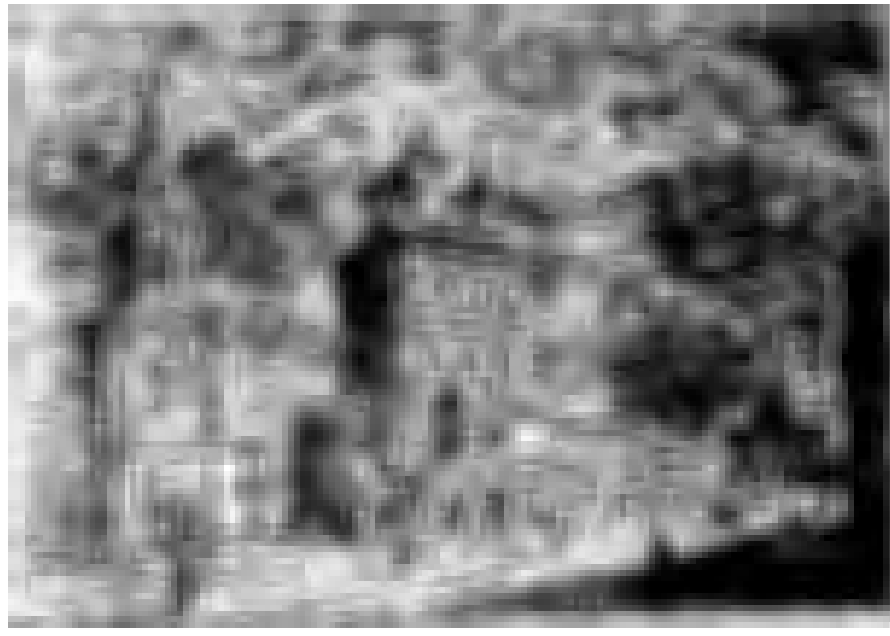

باب هارتفورد

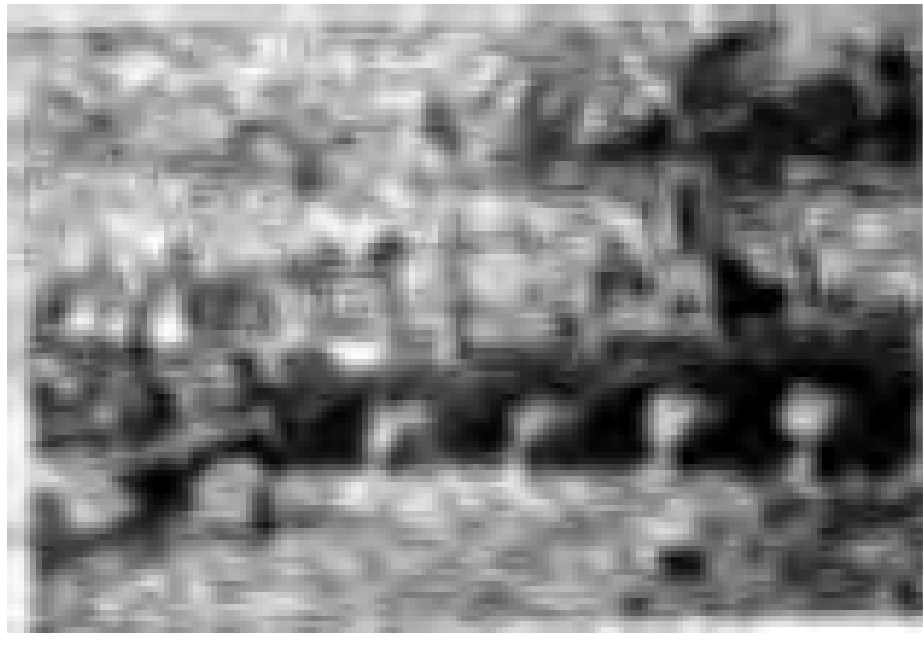

کرملین، موسکو

اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فان اقبل على الناس فرّوا من اماكنهم كأنهُ زلزلة تمشي وان استصرخهم نفروا كأن في صوته قرع الرعد القاصف يالله لا تحمل الارض الأ من يعرف هذا من الفقر بل اشد منهُ ثم يبقى الفقير كأنهُ مسئلة مجهولة في حساب الناس لا همَّ لهم فيها الاَّ كثرة الطرح والضرب ثم الغلط في النتيجة ... وتلخاز طبائع الناس كلها في جهة والفقير وحدهُ في جهة حتى لا يرى هذا المسكين في العالم على سعتهِ غير اثنين هو واستبداد الغنى

ترى اين تكون شرائع الآداب إذن . هل هي في ضمائرنا ام هي في كتبها . ام صار الحق كلهُ انسانيًّا بحتًا لي عليك ولك عليَّ وليس لله علينا شيء . وفصلنا انفسنا من السماء وقطعنا الروابط التي كانت تربطنا بها ونبذناها فرثَّت ثم رثَّت فاذا هي على اجسام الفقراء تلك الاسمال البالية

ايها السادة : الحقوق متى صارت انسانية محضة ليس فيها لله شيء فكل درهم يوضع في يد الانسان يجعل فيها مثقالاً يحكم على عقلهِ وكل رغيف يستقر في معدتهِ يخلق فيها ضميراً يستبد بضميرهِ فينفصل الانسان من الله و يبتعد عنهُ بمقدار ما يقرب من الغنى . وحسبهُ يومئذٍ في اعتبارهِ بعيداً جدًّا عن الله ورحمتهِ ان يقال ان بينهُ و بين ربهِ مسافة الف دينار ... ذلك بان عدل الله يقضي ان يكون للفقير ثروة وانما الجزء المهم من هذه الثروة هو الاحساس في ضمائر الاغنياء . والادلة على هذه القضية (قضية الحقوق الانسانية) كثيرة تفوت الحصر لان كل مراتبِ جمع مالهُ من السُّحت والربا انما هو في نفسهِ دليل عليها . وليس احد اخيب رجاء ولا احق بان يخيب ممَّن يسأل المراتبي احسانًا لوجه الله فان الذي لا يعرف الله فيما يأخذ كيف يعرف الله فيما يعطي

لماذا نرى جفاة الاغنياء يخشون من الفقر على انفسهم فقط ولا يخشون منهُ على الفقير ؟ اظنهم يقولون ان في الارض شيئين بمعنىً واحد . قبور الاموات في باطنها واكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرقٍ بينهما في النسيان لانهُ يشملها جميعًا وانما الفرق بينهما في جاليها المتناقضتين . هذا قبر ميتٍ وهذا كوخ حي . نعم صدقوا وبرُّوا وقالوا حقًّا . اليسوا جُفاة القلوب غلاظ الاكباد . والاَّ فما هو الفرق بين موت منسيٍّ كموت الغريب وحياة منسيَّة كحياة الفقير الأ على الفرق الذي لا يبالي بهِ هؤلاء الاغنياء حين يكون لاحدهم ظاهر حي وضمير ميت

واظن اولئك الجفاة يقولون : انا نرى الفقير لا يملك في الارض شيئاً بل هو الحارس على قطعة من ارض الله يطوف حولها يومهُ . ففقر فلان التاجر الغني مثلاً ليس هو في الحقيقة ان لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وانما هو المتاجرة في الآمال . بعد الاموال . وقبض الريح . بعد قبض الريح . واستقبال الابواب والجدران . بعد استقبال الاصحاب والجيران . وهلمَّ من هذا الباب الذي يُنتج من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة وهي الفقر والمذلة والألم . وانما هو رجل ككلِّ رجال المال متى خرج المال من يد احدهم خرج اسمهُ من افواه الناس وحبهُ من قلوبهم ويكون من اهل السعادة لو خرج هو ايضاً من الدنيا . . .

لُتل الانسان ما اكفرهُ . لو ان غنياً فقد جبلاً من الذهب واصاب رغيفاً لكان ذلك ايسر في مذهب الانسانية من ان لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك به الرمق ويقيم منهُ باباً حاجزاً يمنع الجوع ان يُدخل اليهِ الموت او يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الانسانية في اهلها ان الله لم يخلق الاَّ صنفاً واحداً من الناس على ان كل انسان يظن انهُ ذلك الصنف الواحد . فالغنيّ حين يتصور الفقر وهو لا يزال في غناهُ لا يتصور الاَّ اختلال نظام الاقدار . واضطراب حركتي الليل والنهار . بعد ان يهوي كوكب معدمٍ الذي يصاغ من كل ذرة من اشعتهِ دينار . . . ولا يرى بهذا الفقر الأ ان قمةً هابطةً من السماء ولعنةً صاعدة من الارض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ في جو كبريائهِ فاصطدمتا بهِ فاذا هو مُكِبٌّ لليدين وللفم عند اقدام الناس واذا هو فقير

هذا هو الفقر في اوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط . . . اما سائر الناس فهم عندهم اهل باطل ودعوى . يتخيلون الفقر ويدعونهُ ليعادوا نعمة الغنيّ بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس لهم فقر وقلة الاصحاب فقر وحتى لو ان احدهم سخطتهُ زوجهُ لنسب ذلك الى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالاغنياء هو الفقر . فاذا كان الفقر كل شيء فما هو الشيء الذي يسمى الفقر ؟

من اجل ذلك ايها السادة يخشى الاغنياء من الفقر على انفسهم وهم انفسهم لا يخشون منهُ على الفقير . لان هذا الفقير عندهم قد اصبح شخصاً آخر لا صلة لهم بهِ فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئتهِ سيئة مثلها . فاذا اخدعوا لهُ فبمقدار ما يتجبون من سخائهِ واذا اعطوهُ كان المعطاه ضئيلاً بمقدار ما يخدعون . ولا ينظرون لاثر

الله عليه ولكن لاثم على نفسه اذ الحقوق عندهم حقوق انسانية فهيهات ان يختلج في نفس احدهم ان لو شاء الله لرضهُ في ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير في ثيابه. اتردُّ مثل هذا الغنيّ الجلّف الى الدين ؟ انهُ لهو الدين . اتردهُ الى الانسانية ؟ فمن هو اذن اذا لم يكن من سميم الانسانية وعين اعلها بل انسان هذه العين . اما الحق فاذكر امواله تعلم ان « الحق في يده » ... هكذا هكذا يعطي المال اهلهُ حتى فضائل غيرهم ويسلب الفقر اهلهُ حتى محاسن انفسهم

ايها السادة : لا بد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الانسان والانسان من التباين والاختلاف في كل شيء حتى بين الاخوين تلدهما الام الواحدة وهما معا اتفقا في الحياة ومظاهرها فانهما لا بد مفترقان افتراق الكذبين اللذين ارتضعا منها الحياة . فما عسى ان تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟ تقول الشرائع ان الصلة التي تجمع الناس بعضهم ببعض هي العدل . وتقول العلوم انها العقل . وتقول الآداب انها شيء من العدل والعقل يكون الانسانية في الضمير . ونقول الحياة انهُ سبب الانسانية وهو الرحمة . ثم يرعد صوتُ المي فيصف من جهة السماء التي هي مصدر العدل والعقل والانسانية والرحمة فيصيح بكل ما في هذه الاشياء من القوة ويقول كلا . بل هو سبب الرحمة ومظهر الانسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر

من الذي وُلد وفي يده قطعة من الذهب ومن الذي مات وفي يده تحويل على الآخرة؟ لقد وسعت اخراجات كل شيء الا هذا فما لنا نجد في البدء والنهاية ثم نختلف في الوسط ؟ ذلك لان بدءنا من طريق الله ونهايتنا في طريق الله ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وتكاد واحدة طريق بعضنا الى بعض ... وحينما التقى الانسان بالانسان فإما ان تلاقي المنفعة بالمنفعة والا فالمنفعة بالمضرة فلا بد من انتفاع احدهما او كليهما . ومن ثمَّ يقول البخلاء ما الذي ننتفع بهِ من رحمة الفقير او لا يكفيهِ انا لا نرزؤهُ شيئاً وانا نُفضل عليهِ فنمتدُّ الدرهم الذي نمسكهُ عنهُ كأنهُ درهم اخذناهُ منهُ وبذلك لا يضرنا ولا ننفعهُ بشيء ومن جهة اخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شيء ...

قاتل الله البخل وقبحهُ فما هو الا حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيهِ المنفعة . وان كان للحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد في امساكها ، وان الله لرحيم اذ لم يعاقب البخلاء بما يعاقبون بهِ الناس . فليس بين كل بخيل وبين الهلاك الا ان يتقل الله

الامساك من يدهِ الى جوفهِ ... على ان البخل اذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الايمان لان الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما انفقوا مكافأة على فضيلة الاحسان التي هي في الحقيقة فضيلة الاحساس . ثم ان يخلف عليهم ما انفقوهُ اضعافاً مضاعفة إذ المحسن لا يجود بدراهمهِ على الله ولكنهُ يقرضهُ اياها قرضاً حسناً متى وضعها في يد الانسانية الفقيرة . فمن امسك عن الاحسان بخلاً فانما يشك في وعد الله والاَّ فهو في قدرة الله والاَّ في الله نفسهِ . فاكبر البخل عند اكبر الكفر واصغرهُ عند اصغرهِ ، ويوم يخرج الايمان من قلوب الاغنياء تخرج ارواح الفقراء من اجسامهم فيموتون بالجوع وبالعُرْي وبالمرض وغيرها وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الاغنياء كفراً في الضمير لا كفراً في اللسان

من هنا ايها السادة لا تجدون الفقر في اي عصر من العصور الاَّ بعض الخلل في نظام الاجتماع الانساني كما ان البخل بعض الخلل في نظام النفس الانسانية . والفراغ الذي يجدهُ الفقير في بيتهِ انما هو موضع النعمة التي بخل بها الغنيّ وهو في الحقيقة موضع التفكك او الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع

الانسان انما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة الاَّ حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموع لأن اليد الواحدة في الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم فانها لا يفارقها عيب اختها المقطوعة

وكل خلل في النظام الاجتماعي فانما مردُّهُ الى طغيان بعض الافراد وجنوحهم الى ان تكون شخصية الواحد منهم من الكبر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بيدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالاً بالموازنة الاجتماعية لانها تجعل كل حركة من هذا الفرد زلزلة في المجموع كالثقل في احدى كفتي الميزان ان خفَّ سقطت الكفة الاخرى وان ثقل شالت وهو السقوط الى فوق ...

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ الاَّ اذا تطبَّعت قوى المجموع فاندفقت في تيار واحد الى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم الاَّ اذا جاءت من عكس هذه الجهة فتصدّ قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على ضدها . ومن اراد الغلبة فان ضعف خصمهِ يعطيهِ منها اكثر مما تعطيهِ قوة نفسهِ ولا يكون ضعف المجموع الاَّ من حصر الشخص العظيم قوة عقلهِ ونفسهِ وضميرهِ في هذا السبيل الفردي لتكون منهُ الشخصية الهائلة التي تشبه ما كان في تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الالهة

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام او شريعة الى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشري الداء في الموازنة الاجتماعية فيفسدها ويوقع في نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها في معدة واحدة وحتى لا يبقى الناس ارقاماً يعدهم النفي المستبد كما يعد دراهمهُ لانهم ثروتهُ الحية. . . غير ان هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل الى عهدنا عهد الاشتراكية العلية الا ثورات في مهما كانت فانها اشبه شيء بجموح الحيوان اذ يحس انفهُ فيجمح ثم يسترسل في جماحهِ ثم يشتد حتى يمتزَّ صاحبهُ على رأسهِ ويملك نفسهُ منهُ ثم ماذا؟ ثم يسكن مكرهاً بعد ان جمح راضياً فان لم يسكنهُ الالم من صاحبهِ اسكنهُ التعب من نفسهِ . لان التخلص من شيء في فطرة الانسان لا يكون بالتخلص من انسان بعينهِ كالحرية إن لم تكن في نفوس الشعب المستعبَد لم ينفعهُ كل ما يتمثلهُ من الآمال عند سقوط المستبدّ وزوال عهدهِ فان هذه الآمال الجميلة انما هي بعض الهواء النقي الذي يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملءَ رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التي يحدثها ذلك السقوط

ومن هذا ايها السادة ترون ان الانسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً. فاذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ في عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش في بقعة مجهولة من فؤادهِ فاعلموا ان اهمال ذلك الفقير انما هو نوع من القتل الاجتماعي

هنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسهِ ولا قتل بيدهِ . اما المقتول فانهُ لم يُقتَل في اثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذي بلغ منهُ حتى جعل اهمال القوي إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل . فترى على من تكون هذه التبعة وهي بالتحقيق ليست على القوي لقوتهِ ولا على الضعيف لضعفهِ؟

هناك اثنان رجل في الماء وآخر على الشاطئ فاما الذي في الماء فليس بينهُ وبين الموت غرقاً الا نفس واحد مثل ينسلّ بالماء من حلقهِ الى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً في حفر قبرهِ الذي فليس الموج المتناثر حولهُ الا حائكيهِ يد جبار الموت من تراب ذلك القبر وتحثوهُ في رجليهِ بنزق وغضب . بعيدٌ عن الاحياء حتى بَعُدَ عن ان يكون لهُ قبرٌ بينهم ولا صلة بينهُ وبين الحياة الارضية الا نظرات ذلك الرجل القوي الذي يلوح في عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطئ لها قوة وليس لها ارادة ولا يد . ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الارض تحت قدميهِ ويشعر بصلابة يدهِ وعضلاتهِ يشعر ايضاً بمعنىً من الصلابة

في قلبهِ . وقد جاء الى الشاطئ ليتنفس تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون ارواحاً للامواج تبث فيها حركة الحياة . ما لهُ ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ جثة من المتاع او حذاء قديم او ريش طائر او رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو الى الماء فيكون حقاً عليهِ ان يستنقذهُ ولا كان الغوص من صناعتهِ فيعتمل في اخراجهِ ليخرج معهُ اجر عملهِ وهو قويٌّ ولكنهُ قويٌّ لنفسهِ لا للضعفاء وقد جاء ليروّح عن نفسهِ . وانقاذ الغريق عمل آخر . اخذ فيما جاء لهُ وما زال يتنفس ملء صدرهِ من الهواء ومن زفرات الانسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ ان ينصرف وترك الرجل يغرق وهو يقول لا بأس ان ينقص عدد اهل الارض واحداً فهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة ايضاً ؟

اذا اردتم ايها السادة ان تعرفوا ذلك فانكم تستطيعون ان تحققوهُ بدون ان تكونوا شرطة او قضاة او اهل قانون او فلسفة ولكن بان تكونوا من ذوي الانسانية فقط . فان الانسانية لا ترى في الارض الاَّ الضمائر وما هذه الاجسام الاَّ ادوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير . فالرجل قد مضى يريء اليد ويريء القوة ويريء العقل اذ هو لم يقتل ولم يجنِ على القتيل ولم يحتل لقتلهِ ولكن الانسانية حين تنادي الضمائر باوصافها فتقول ايها الطيب وايها الكريم وايها الشقيُّ وايها السافل تقول لضمير هذا الرجل ايها القاتل

اذا لم يقرّ الاغنياء لانفسهم بالضمائر ولم يلحقوا بها التبعات التي تناسبها فهل هم في ذلك الاَّ كالمجانين لا نقرهم الشرائع بالعقول وتخرجهم من تبعة ما يجنُون على العقلاء لانهم مجانين . وكيف تروض ذلك الغنيُّ الغطُّ الذي يهرُّ في وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنهُ ينبحهم بلغة كلبية . . . ولا يفتأ يقذفهم بالالفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة . . . واذا اعطاهم فانما يعطيهم بقبضة فارغة . . . وهو لا يوقر الاَّ من ثروةٍ كأنهُ لا يرى في الدنيا كلها اسفل من نفسهِ . . . ولا يبالي الاَّ بمن يطمع فيهِ كأنهُ جالس في (مكتب احد المخدّمين) وقد تساوى في الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأنَّ ضميرهُ لبسهُ مقلوباً . . . وصار امر رضاهُ وغضبهِ واحساسهِ وحيائهِ موقوفاً على ما يكون من امر المعاملات كأن اخلاقهُ ليست في نفسهِ ولكنها في ايدي الناس . . . أليس مثل هذا الغنيّ الدنيء رجلاً عاقلاً ؟ بلى انهُ لاعقل من كل من يمدحهُ ولو كان اكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضمير بحيث لا يعقل الاَّ بحرامهِ

سنأتي البقية

القصيدة الهندية

لما اطلع حضرة الوجيه الخواجا ديمتري خلاط على السؤال المنشور في مقتطف ابريل كتب الينا يقول « لم يسعدني الحظ بمعرفة الدكتور حامد ابرهيم لكن الانشاء يدلُّ على ادب الانسان كما يدلُّ العبق الطيب على الريحان فارجو اجابة طلبي واعادة نشر القصيدة في العدد التالي من المقتطف » . فاعدنا نشرها وتركنا الشرح المسهب الذي جعلهُ حضرة الناظم تمهيداً لها وهو حري بمطالعة كل من يود ان يعرف شيئاً عن الشعر الهندي

إراكِ في يقظة من لوعة الألمِ ... اني شبيهك مكلومٌ فَمي كَلِمي
أصغي ولا تعجبي مما أصبتُ بهِ ... اني سمعتُ الى حنظٍ على قدمي
وقد حصدتُ ثمارَ الوجد يانعةً ... لمَّا زرعتُ بزور الضرّ والنقم
وهكذا الذنب مشفوعٌ بنقمتهِ ... وصاحب البرّ لنْ يُشقى ولم يُضمِ
تبًّا لها ساعةً لمَّا نفيتُ بها ... راما نفيتُ ألكرى معهُ فلم انمِ
انَّ الجنون فنونٌ كيف حيلةُ من ... شام ابنهُ نورهُ أطفاهُ ثمَّ عمي
إني سلكتُ سبيل الغيّ عن عجلٍ ... ضللتُ فيها شبيه العير والبهمِ
وقد ملأتُ كؤوس اللهو مترعةً ... رشفتها فشربتُ السمَّ في الدسمِ
حاكيتُ طفلاً رأى حيلاً فدلَّهُ ... عُنقًا فكانَ بهِ حتفًا على وضمِ
سلطانةَ الهند لمَّا كنتِ يافعةً ... وكان فيك هيامي غيرَ مكتتمِ
كنتُ امروءًا قاعداً عن هم سلطنةٍ ... خليَّ بالي شجيَّ الحبِّ والنغمِ
والقلب في فرحٍ والجسم في مرحٍ ... والخصمُ في ترحٍ والاهلُ في نعمِ
وكنت من شغفي فيك في حبٍ فاتنةٍ ... أهيمُ للقنص في الآجام والأكمِ
فذات يوم تأبَّطت الكنانةَ والـ ... ـقوس الموتّر يصمي طائر الرخمِ
واذ وجدتُ مليكَ النور منهزماً ... والليل اقبلَ مع اذيالهِ الدهمِ
اممتُ نهر السرايو علَّ ذا ظلإٍ ... من الاوابد يأتي الماء في أممِ
لبثتُ مختليًا للقنص مرتصداً ... حتى سمعتُ الناه في المياهِ رُمي
حسبتُ خرطومَ فيلٍ جاء مُستقيًا ... صوَّبتُ سهمي وفيتِ ساعةَ الوهمِ
اطلقتهُ فسرى والشؤمُ يحملهُ ... على غرابيرِ بجنح البين ملتزمِ
اصاب سهمي لا فيلاً ولا اسداً ... بل ناسكاً ناطقاً من خيرة الاممِ
الفى الناه الى الماء القراح لكي ... يملاهُ منهُ فأسقي من إنا العدمِ

سمعتُ أنّهُ يشكو اذى ألمٍ ... وصاحَ من حرَقٍ "يا خائض الاجمِ
حلّلتَ ما حرّم العقلُ السليمُ بهِ ... فالصيدُ في الليل مثل الصيدِ في الحرمِ
إن كنتَ عامد قتلي ليس من سببٍ ... يبرّي القتل في شرع لدي ذُممِ
يا نهرُ يا نهرُ ما هذا المصاب فقد ... وجدتُ حرّ الردى في مائك الشبمِ
ولستُ أبكي على فقد الحياة فقط ... أبي كذاك أبي في حالة الهرمِ
أبكي فراقها اذ كنتُ عونهما ... عند الشدائد والاحزان والسقمِ
فمن يعولها بعدي وضيفهما ... ضيفُ العمى بئس ضيفاً غير محتشمِ
تنتّتْ كبدي من ذا العويل وذي ... الشكوى فبتُّ كسكران وذي لممِ (١)
لم أدرِ هل طبّقت ارضٌ عليَّ أم انقضّت عليَّ من الاعلى كُرى (٢) الرُّجمِ
فسرتُ نحو مهيبِ الصوت مصطبراً ... قهراً كلا الراجفين (٣) الهول والندمِ
وجدتُ ملقى صريعاً في المياه فتى ... على محيّاهُ سيما الفقرِ والشيمِ
لمّا رآني اليهِ مقبلاً وبدا ... وجهي كبحرٍ تموج الغمّ مُلتطمِ
رنا اليَّ بلحظٍ كاد يحرقني ... شرارهُ بلهيب الحزنِ مُضطرمِ
وقال لي "يا كئيباً قد فتكتَ بمن ... نحو القريب ونحو الله لم يصمِ (٤)
أرشتَ سهماً وكان السهم مصرعهُ ... ثلاث قتلى تباعاً خلف بعضهمِ
أين الفدا أين نسكي ما انتفاعي بهِ ... وقد قُتلتُ بلا ذنبٍ ولا أثمِ (٥)
قد كنتُ قرّة عين الوالدين غدا ... ابي تميماً لقيد الرشدِ والحُلمِ
وما انتفاع أخي الدنيا بعيشتهِ ... اذا استوت عنده الانوار بالظلمِ (٦)
اقصرْ عناك فان تطلب معالجتي ... اخفقتَ والموتُ داءٌ عبطُ الهممِ
والمرء كالغصن ان قُدّت اروميّةٌ ... بالفأس مات واضحى مطعم الضرمِ
لكن اذا كنتَ ترجو الآن مغفرةً ... لدى إلهٍ رحيمٍ باذخ الكرمِ
فسر الى والدي من ذي السبيل وسلْ ... منهُ السماح وقل يا كامل الشممِ
أتيتُ معترفاً فيما اقترفتهُ ولد ... رضيتُ حكمك يا خصمي ويا حكمي
عسى اعترافك يُقصي عنكَ ادعيةً ... عليك هطّالةً بالشؤم كالديمِ
قف لا تسرْ وحديد النصل يلذعني ... كيّاً فنعتَ بالذّغرِ والسممِ (٧)

(١) اللمم الجنون (٢) جمع كرة (٣) الراجف الحمى بزعدة (٤) يعيب (٥) تضمين مصراع بيت لصلاح الدين الحلي (٦) ابداع بيت للمتنبي مع تصرف في معناهُ (٧) اسم قبل الاصطام

أشكال الروس وأزياؤهم

ابزغهُ من كبدي وارفع اذيَّتهُ ... فليس يفعل غير النفس والالم
سلتهُ من فؤادٍ خانق المآ ... فسال منهُ دما داعي جماد دمي
واستسلم الروح في شرخ الصبا فسرت ... الى العُلا وانا في ارض ذي سَلَم (١)
مُصفرٌ وجهٍ وحمرٌ العيون وسودٌ م ... الجبين ومزرقٌ اللمى وفمي
منَ الكآبة قد خيط اللسان بهِ ... والأذنُ صمَّت فن للبكم والصمم
لما صحوتُ من اليلهِ المُلمّ ومن ... خطبٍ مهولٍ يدقُّ العظمَ بالحمم
يممتُ مثوى أبيهِ حاملاً يدي ... وعاءهُ فوجدتُ الشيخَ في الحميم
مع القرينة أمّ الظبي والأسفي ... كلاهما من تداعي العمر كالرمم
توهمَ الشيخُ في وقع الخُطى خطا ... وخالني باندانا صاح عن زعم
"يا باندانُ لما ابطأتَ ياولدي ... ودأبُ عدوك كالسيارة الرسُم (٢)
وانتَ تعلمُ أنَّ الانسَ مُفترقٌ ... عنّا اذا كنتَ معنا غير مُلتئم
فانتَ روحٌ لنا راحٌ لراحتنا ... ريحانُ نسمتنا لولاك لم تدُم
هاتِ الاوانَ وقربْ انني ظمئٌ ... إليك كالماء رطّبْ بالدنوّ فمي
مالي اراك بعيداً صامتاً بجفا ... وانتَ لي دائماً بالطوع كالقلم
فغام وجهي وسال الرعد في بدني ... وسال دمعي كطلّ الغيث منسجم
واشببتُ خالتي فلك العُباب متى ... من وطأة الريح لم يهدأ ولم يعم
وطّنتُ نفسي على ردّ الجواب لهُ ... فقلتُ يا من بغير الزُهد لم تهم
لستُ ابنك الفاضل المشهور بل رجلٌ ... يا سيدي داثراتا فارسٌ وكمي
قصدتُ قنّصا وحظّي راكبٌ زُحلاً ... فالنحس رافق سيري غير منفصم
وفي مهاوي أجوى القيتُ وا أسفي ... سأصرف العمر طرًّا غير مبتسم
وبعد فاتحة التأسا رويتُ لهُ ... حديثَ فاجعتي فازورَّ كالحجم (٣)
وقام يزأر مثل الليث مختبطاً ... والأمُّ باتت من اللأواء كالصنم
ظلاً ضريبين من مفعول صاعقةٍ ... يشيبُ منها اشتعالاً اسود اللمم
فريثما خمدت نيرانُ حزنهما ... آلا لحال يعقد الرشد منتظم
وايقنا بوجودي واقفاً وجلاً ... وما جُهلتُ لدى ذي حكمةٍ فهم
فقال والدمُ « إعلم بانك لو ... ما جئت ممتزقاً بالقتل والهدم (٤)

(١) ارض الشوك (٢) السريعة الوخد (٣) جمع أحجم اي شديد حمرة العينين (٤) هدر الدم

وثائباً في براه عن تهدمه ... لصرتَ في الحال كالصفوان والحمم
لانَّ برهم مَن بالوج مسكنهُ ... يهوي بأدعيتي من حالق القمم
فقرَّ بالاَ ستحي عبداً ملكاً ... ولستُ منكَ بمقتصٍّ ومنتقم
لكن خذ النصح مني لا تُصب احداً ... من برهميين شهلك[1] فاستفد حكمي
والآن خذ بيدي سرّ بي مع امرأتي ... الى قتيل ذليل كان ذا شمم
حتى نودعهُ والقلب نودعهُ ... امانةً فوفاءُ غير منصرم
هيَّا بنا لعزيز كان مصرعهُ ... ضمنَ الكبود مثيرَ الغم والسأم
قد كان عكازنا ملجا مخاوفنا ... مصباحَ ظلمتنا من أحسن الخدم
هيَّا نُعانقهُ نطوي غدائرهُ[2] ... نزورهُ قبل ياما[3] قابض النسم
سرنا أُلودُهم والحزن شاملنا ... حتى وصلنا وكانت فكرتي بهم
فلما دنوا من فتاهم ولولوا وبكوا ... حتى دوى الأُفقُ رعداً من دويهم
واحدقوا واحاطوا في مقبَّلهِ ... كما تحاط خصور الناس بالحزُم
ثمَّ تلا النعيُ قالت امهُ ولدي ... جئنا إليكَ لما يا روح لم تقم
وما تعوَّدتُ منك الصدَّ في طلبٍ ... وما أجبتَ ندائي غيرَ بالنعم
قد كان حبُّك لي عشقاً بلا عذلٍ ... وقد رضعتَ هياميَ غيرَ منفطم
فهل رضيتَ النوى قل لي أعن مللٍ ... جلَّت صفاتك لا ارميها بالتهم »
وضمَّ والدهُ منهُ كواهلهُ ... وصاح يا مهجتي إنا لديك شم
قبَّل وعانقَ وصافحَ بُسَّ وحيَّ وقفَّ ... إسلمْ وسلِّمْ وصلْ صالِمْ وعشْ ودُمِ
بالله دع ذا الجفا عاشرتنا بصفا ... والطبع منك الوفا قولاً بلا قسم[4]
فمَنْ يؤانسنا ان غبتَ يا ولدي ... ومَنْ يصلّي لنا في ارخم الزنم
ومَن يقينا من الفقر الملمّ بنا ... والجوعُ ضارٍ قتولٌ غيرُ ذي رُحُم
ومَنْ نراقب في الليل البهيم وفي ... الصبح المنير ويجلو ظلمةَ الغشم
يا زهرةً ذبلتْ قبل الاوان ويا ... غصناً نضيراً ذوى ليتَ الفدا بدمي
أتحسب العيش بعد النأي محتملاً ... فالجورُ فاضَ وغاض الصبرُ فاحتكمِ
لا ريب انك غادٍ للعلاء لكي ... تلقى ذوي الفضل والآداب والحكمِ

(١) في مذهب الهنود من قتل برهمياً هلك (٢) عادة الهنود ضم شعر الميت (٣) ياما الاه الثابض الارواح (٤) اي انك لا تحتاج في الوفاء الى القسم فهي فلت فعلت

الى مقام معد للألى فعدوا ... عن الملاهي وقاموا في زكاتهم
نظير بابا وناهوما (١) اللذين هما ... بالبرّ اشهر من نارٍ على علمِ
من كان مثلك لا يهوي لهاويةٍ ... فانها منزل القاتول ذي الجرمِ
ما انجز الوالدان النعي حتى بدا ... فتاهما رافلاً في حلة النعمِ
وراكباً من جياد الخيل مركبةً ... تروم أُفق الفضا مرخيةَ اللجمِ
وباندات جليسٌ فوق مقعدها ... مفترٌ ثغرٍ نظيم الدر مبتسمِ
يقول يا والديَّ الصبر فاجتنبا ... هذا الاسى وانظراني ما ارى دمي
وما قتلتُ ولكن قد حبيتُ بذا ... امرُ الالهِ قضى (٢) من سالف القدمِ
انا سبقتُ وانتم لاحقون الى ... دار الضيا هرباً من منزل الظلمِ
ثم ارتقى صعداً بالبشر ملتثماً ... ككوكب بشعاع النور ملتثمِ
فبعد ان غاب عن مرآهما صرخا ... ها رزقنا افليس الرزق بالقسمِ
وصلّيا وطيهِ استمطرا سحباً ... من الرضى المعتلي بالقدر والقيمِ (٣)
عقيب ذلك مالَ الشيخ ملتثماً ... نحوي وسيناوهُ شفت عن الاضمِ (٤)
وقال تب لولي الامر عن زللٍ ... واعدل بصيدك بين الذئب والغنمِ
ستفقد الابن مثلي تبتلى بجوى ... يحكي اذاهُ اذا حرّ الوطيس حمي
وتشتكي مرّ طعم البين عن ولدٍ ... ستكمل الحب من كل العيوب حمي
وحشرجت نفسهُ مع نفس زوجتهِ ... وغادرانيَ جسمين بلا نسمِ
فبتُّ بعدهما هذه الآجام منفرداً ... وبين اجيالهم (٥) كالابلهِ الوجمِ (٦)
اقول من وجل الانباء مرتعشاً ... يا نفس توبي وبالاحسان فاعتصمي
ثم انثنيت الى داري اطارد من ... فكري النبوة او ترديد ذكرهمِ
حتى بليت بما يضني فواحرقي ... وأليس البين جسمي مطرف السقمِ
بئس الحياة فتاة لا ثبات لها ... نقدت منها رجائي منتهى عشمي (٧)
وقد طعمت (٨) اقتحاماً من زخارفها ... والموت ينشا عن الافراط والتخمِ
دنت وفاتي ايا زوجي وها نفسي ... يضيق بالصدر تصعيداً فلا تلمي
أقررت بالذنب فاعفني جاءني اجلي ... فأجعل العفو منكِ حسن مختتمي

(١) هما من قدماء امراء الهند المشهورين بالتقوى (٢) الهنود يعتقدون بالقضاء والقدر (٣) رضى الوالدين لمين جد١٣ (٤) الحقد والغضب (٥) الجميع عائد الى الثلاثة (٦) العاجز عن ورعدة (٧) عمي (٨) طعم افرط من الاكل والتخم

دولة الروس

اوردنا في الجزء الماضي خلاصة مختصرة من تاريخ امراء الروس وقياصرتهم من اول عهدهم الى زمن ميخائيل رومانوف الذي تولى سدة الملك سنة ١٦١٣ وهو الاول من دولة الروس الحالية . وقد رأينا ان نورد الآن خلاصة اخرى من تاريخ البلاد نفسها اي من اخبار الملوك والسكان وعاداتهم واعمالهم الدالة على درجتهم من الحضارة

الروس من امم مختلفة الاجناس والازياء كما ترى من صورهم في الصفحة المقابلة واستمرّوا على ازيائهم القديمة او عادوا اليها في زمن التتار واحتفظوا بها الى ان اضطرهم القيصر بطرس الاكبر الى تغييرها واقتباس الازياء المتبعة في اوربا

وامراؤهم تشاوا بملوك اوربا ومصاهرتهم حالما تنصروا فالامير ياروسلاف زوّج اخته ماريا لكزمير ملك بولندا وابنتهُ اليصابات لمرولد الشجاع ملك نروج وابنتهُ حنة لهنري الاول ملك فرنسا وابنتهُ انستاسيا لاندراوس ملك المجر وتزوج ابنهُ الاول بابنة هرولد ملك انكلترا وابنهُ الثاني بابنة ملك بولندا . وبلغت مدينة كيف في عهده مبلغاً عظيماً من العمارة حتى ماثلت القسطنطينية وكان فيها اربع مئة كنيسة وكثير من المباني الفاخرة وكان التجار يقصدونها من هولندا والمجر والمانيا

لكن العمران الذي رسخت اصولهُ في ذلك العهد تقلص ظلهُ بعد ما دوّخ التتار البلاد ثم اقتدى السكان بهم رويداً رويداً حتى صاروا مثلهم وصارت ممالك اوربا تعدُّهم من الامم الشرقية المتوحشة . وكاد اتصالهم باوربا ينقطع في القرن السادس عشر والسابع عشر بعد ان أحكمت ربطهُ في القرن الحادي عشر والثاني عشر . فصار قياصرة الروس مثل خانات التتار وسلاطين الترك يتصرفون برعاياهم كأنهم من ممتلكاتهم والرعايا يمرغون جباههم بتراب اقدام ملوكهم كما يقال في المصطلحات التركية ويحسبون انفسهم عبيداً ارقاء ملوكهم وقامت العبودية عندهم مقام الطاعة

وتعذَّر على قياصرة الروس في اول الامر ان يذلوا امراء البلاد لشدة انفتهم وعزة نفوسهم فشرعوا باعظمهم من التزوج لكي ينقطع نسلهم . وكانوا اذا اراد القيصر ان يتزوج يجمعون لديه اجمل العذارى ليختار لهُ زوجة منهنَّ ويقال ان العذارى اللواتي أُتي بهنَّ الى واسيلي ايفانوفتش بلغ عددهنَّ ١٥٠٠ فاختار منهن ٥٠٠ ثم اختار من هؤلاء ٣٠٠ فمئتين فمئة فعشراً واخيراً اختار واحدة من العشر وتزوج بها والحال قرَّب اباها واعمامها فصاروا وزراءهُ

واعوانهُ واهل شوراهُ . و بديهي ان الوزراء والاعوان الذين خرج الامر من يدهم لم يكونوا ليصبروا على الضيم فاحتالوا بكل واسطة لاغتيال الزوجة التي تألم منها الخسف ولذلك قلما كانت زوجة القيصر تعمر طويلاً والغالب انها كانت تمرض فجأة وتموت بما يدسُّ لها من السم

وكانت اعمال الوزراء والاعوان في الحرب والقضاء واما دواوين الانشاء فكانت لاولاد القسوس والتجار لان الامراء كانوا يترفعون عنها . وكان القيصر مضطرًّا ان يرسل الى امرائهِ واعوانهِ ما يحتاجون اليهِ من الطعام والشراب يوميًّا . وكانت ادارة القصر مقسومة بين مئات من الامناء كامين الكؤوس الذهبية والفضية وامين الملابس وامين العقاقير وامين الاسطبل وامين البزاة وامين الصيد وامين الماجنين وامين الاقزام وامين الدباب وامين الكلاب وما اشبه

وكان القياصرة تجاراً يحتكرون البضائع التي منها ربح كبير كالانسجة الحريرية والذهبية والفراء وقد ينتصبونها من اصحابها بارخص ثمن او بلا ثمن و يبيعونها باغلى الاثمان و يحتكرون البضائع الواردة الى البلاد و يضطرون الاغنياء الى ابتياعها و يضربون الضرائب على الممتلكات والنفوس . ومع ذلك لم يبلغ مجموع الضرائب كلها في عهد بوريس غودونوف سوى مليون ومئتين وثلاثة وعشرين الف روبل . وكثيراً ما كان القيصر يعفي عن الواحد من وزرائهِ واعوانهِ حتى يتنزكل ما يمكنهُ ابتزازهُ من اموال الرعية ثم يفتك بهِ فجأةً و يأخذ امواله كلها . اي ان الحال كانت في روسيا كما كانت في بلاد التتار وفي القطر المصري زمن المماليك

وكان اكثر جيش المملكة من الفرسان وهو مؤلف من الخرس الخاص وفيهِ ثمانية آلاف فارس وفرسان الاشراف وعددهم ثمانون الفاً وفرسان الاحرار وهم نحو مئتي الف و يضاف الى ذلك فرسان القزاق والدن والترك والتتار والشكير . اما المشاة فكانوا قليلاً في جنب الفرسان

وكان لباس الفرسان مثل لباس المشارقة واسلحتهم مثل اسلحتهم وكان القيصر نفسهُ يخرج الى الحرب بالرمح والقوس والنبال

اما ابهة الملك فلم يفق احدٌ لياصرة الروس فيها فكان سفراؤهم يؤمرون بالظهور بهيئة اعظم المظاهر وافخمها واذا وفد سفير من دولة اجنبية الى روسيا قوبل بالاجلال والاكرام من حين دخولهِ البلاد وقُدِّمت لهُ ولاتباعهِ المركبات والميرة وسيروا بهِ في اغنى الولايات واخصبها واكثرها سكاناً وطُلب من السكان ان يقابلوهُ في كل مكان وهم بافخر ملابسهم وحينما يصل الى موسكو يعطى قصراً من قصور القيصر و يرسل اليهِ الطعام من مائدتهِ . والمقابلة الاولى التي يقابلهُ القيصر بها تكون في القصر المجزع . والبهو الذي يقابلهُ فيهِ مزادن بالآنية الذهبية والفضية و يكون القيصر جالساً على عرش سليمان والتاج على رأسهِ

والصولجان في يده وتحت العرش أسود صناعية تزأر كالاسود الطبيعية ارهاباً للسفير وحوله الحرس الملكي بالقفاطين البيضاء والقبوس الفضية والاشراف بحللهم الفاخرة ورؤساء الكهنة بملابسهم البسيطة فيسأله القيصر عن سلامة الملك الذي ارسله وعما لقيه في سفره. واذا لم يسر به صار القصر الذي خصصه لسكناه سجناً له لانه لا يسمح لاحد ان يزوره او يكلمه حتى يضطر أن يعود الى بلاده

وكان سكان البلاد غير الاشراف مقسومين الى الفلاحين والتجار والفلاحون ثلاث طبقات الفلاحون العبيد اي الذين يؤسرون في الحرب ويستعبدون او الذين يبيعون انفسهم او يبيعهم غيرهم للاستعباد واولاد العبيد. والفلاحون المرتبطون باراضي الاشراف. والفلاحون الاحرار اي الذين يحق لهم ان ينتقلوا من املاك رجل الى املاك رجل آخر

والتجار هم سائر الناس والظاهر انهم كانوا كلهم غرباء في اول الامر لان معنى اسمهم الغرباء. وصادرات روسيا كثيرة من الجلود والفراء على انواعها والشمع والعسل والقنب فالزيت والسمك المقدد ولكن ظلم الولاة وابتزازهم المال من الرعية صرف السكان عن التجارة فتعاطاها غيرهم من الغرباء

وهناك فريق آخر وهو العبيد الذين في بيوت الامراء فانه كان عند كل امير مئات منهم رجالاً ونساء مشترين او مولدين وقلما كان امير يسير من مكان الى الآخر الا بموكب كبير. فاولاً تسير امامه المركبات والفرسان ليدفعوا الجوع من الطرق ثم الناس مسلحون يحيطون به ثم جيش من الخدم والحشم وهؤلاء عبيد ارقاء يبيعهم اسيادهم ويشترونهم ويسومونهم انواع العذاب لاقل سبب وكثيراً ما يبيعون الرجل ويتركون زوجته عندهم او يبيعون الزوجة ويتركون زوجها او يبيعون الاولاد ويتركون امهم او يبيعون الوالدين ويتركون اولادهم

وكان تحجب النساء قديماً عندهم من قبل مجيء التتر فزاد تمكناً واعتبرت الزوجة كبعض ممتلكات الزوج ويحق له ضربها كما يضرب جاريته. وفي وصايا الكاهن سلستر ينصح الزوج ان لا يضرب زوجته بعصاً غليظة جداً ولا بقضيب له رأس من حديد ولا امام خدمه بل على انفراد. وكانت اقوى النساء تقف امام زوجها ليضربها ولا تمانعه مهما كان ضعيفاً وهي قوية. ذكر هبرستين ان امرأة روسية تزوجت رجلاً غريباً فحسبت انه بكرها لانه لم يكن يضربها

وكانت المرأة تقيم في خدرها وهي في البيت حتى لا يراها احد وتسبل نقاباً على وجهها حينما تخرج ومن نظر الى زوجة القيصر عُدَّ نظره اليها خيانة وعوقب عقاب الخائنين.

ولم يصح للنساء بالذهاب الى الكنائس لاجل العبادة بل كنّ يعبدنَ في بيوتهنّ وكنّ مع ذلك يتبرجنَ ويكتحلن ويزججن حواجبهنّ . قال الرحالة يثري اتفق لما كنت في روسيا ان تزوج احد الامراء بامرأة جميلة جدًّا فابت ان تتبرج مثل غيرها فاغاظ نساء الامراء منها وجعلن ازواجهنّ يشكونها الى القيصر كمزدرية بعادات البلاد فامرها بان تتبرج مثلهنّ . وكان الرجال يلبسون الجبب الطويلة ويطلقون لحاهم ولا يحلقونها كام اوربا حتى قال القيصر ايفان الرهيب ان حلق اللحية خطية مميتة لا تطهرها كل دماء الشهداء لانها تتلف صورة الوجه الذي خلقهُ الله

وحرّم على الناس لعب الورق والشطرنج والنساء ولو في مدح ابطالهم القدماء وحرّم عليهم ايضًا الرقص والخروج للصيد بل حرّم عليهم المزاح وهم على موائد الطعام لئلاَّ تهرب منهم الملائكة ويأتي بدلاً منها الشياطين . لذلك وتعجب النساء لم يبقَ في روسيا شيءٌ من الانس بل صارت البلاد كلها كأنها صومعة من صوامع الرهبان . لكن هذا التقشف الظاهر لم يمنع السكر والفجور فشاعا في البلاد حتى كان الكبار والصغار والرجال والنساء يتطرحون في الشوارع سكارى ولم يستثن الكهنة من ذلك فانحصرت اسباب البهجة والسرور في السكر حتى صارت كلمة سكر وكلة فرح مترادفتين . وقد حذّرهم احد الوعاظ من السكر بقوله « اتعدون السكر فرحًا يا اصدقائي اتعدونهُ سروراً حسب شريعة الله . السكر يبعد عنا الملائكة الذين يحرسوننا ويسر الشياطين . السكر ذبيحة للشيطان فيقول ان ذبائح الوثنيين لم تسرهُ نصف ما سرهُ سكر المسيحيين . الخمر حلال وشربها غير محرّم ولقد اعطاناها الله ليفرّحنا . وآباء الكنيسة لم يحرموا الخمر ولكن يجب ان لا نشرب حتى نسكر »

وكانت ملاهيهم مقصورة على مجالس الماذرين والرواة فلم يخلُ منهم قصر ولا دير . وقلما كان الاغنياء ينامون الاَّ وواحد يقصُّ عليهم قصة . وكان عند ايفان الرهيب ثلاثة من هؤلاء الرواة يتناوبون حول فراشهِ ليطرفوهُ باحاديثهم حتى يتعس وينام

وكانوا يعتقدون بالسحر والتنجيم وبكل خرافات الامم التي حولهم . ويثقون بالعوذ والرقى اكثر مما يثقون بعقاقير الاطباء . بل كثيرًا ما كانت صناعة الطب بلية على صاحبها لانهُ اذا لم يشفِ المريض عُدَّ ساحراً وعرّض عقاب السحرة . من ذلك ان طبيباً يهودياً قُتِل على مشهد من الناس في عهد ايفان الثالث لان القيصرة ماتت وهو يطببها

الاَّ ان ايفان الرهيب على ما اشتهر بهِ من القسوة كان من محبي المعارف ومثيري النهضة الادبية في روسيا وهو الذي ادخل الطباعة اليها وفي عهدهِ طبع مستسلافتس وفيودوروف

اعمال الرسل والسواعي ولكنهما اخطرا ان يغادرا البلاد لانهما اتُّهما بالكفر

وكان لسقوط القسطنطينية في يد الاتراك شأن كبير في عمران روسيا كما كان لهُ شأن كبير في عمران اوربا كلها لان كثيرين من صنّاع الروم هربوا الى بلاد الروس وهرب اليها تلامذتهم الايطاليون فبنوا فيها المباني الفاخرة من الكنائس والقصور حتى بلغ عدد كنائس موسكو الفاً وستمائة كنيسة وكلها بالقباب المذهبة والمفضضة

وكانت موسكو مبنية من الخشب ولذلك شبَّت النار فيها مراراً وحرقتها عن آخرها فلما جاءها البنّاؤون من الروم والطليان جعل القياصرة يبنون قصورها وكنائسها بالحجارة المحوتة فبنوا الكرملين من حجارة بيضاء وجعلوا لسوره شرفات دقيقة كالاسنان واقاموا فيهِ ثمانية عشر برجاً لحمايتهِ وجعلوا لهُ خمسة ابواب كبيرة ابدعوا في تنوع اشكالها منها باب الخلص وقد بني سنة ١٤٩١ بناهُ بيترو مولاريو الميلاني . ومنهُ يدخل القياصرة حينما يأتون موسكو اول مرة . وباب القديس نيقولا وقد بني في ذلك الوقت وباب الثالوث بني في القرن السابع عشر

وفي الكرملين كثير من الكنائس والقصور والاديرة واشهر كنائسهِ كنيسة صعود السيدة التي يتوَّج فيها القيصر وقد بناها البرتو فيوراڤنتي الايطالي وهو الذي بنى المباني الفاخرة لفزما ده مديشي وفرنسيس الاول ملك فرنسا وجيان غليزو الميلاني والبابا سكستوس الرابع . وقد التقى بهِ سفير ايڤان الثالث في البندقية واستدعاهُ الى روسيا فبنى هذه الكنيسة على اسلوب بديع جداً وغطى اعمدتها بالذهب الابريز

ومنها كنيسة ميخائيل رئيس الملائكة وقد بنيت سنة ١٥٠٥ وفيها قبر ايڤان الرهيب وولديهِ . وكنيسة الصعود وفيها قبور القياصرة وبرج ايڤان وقد بني سنة ١٦٠٠ وارتفاعهُ ٣٢٥ قدماً ولهُ قبة مذهبة وفيهِ ٣٤ جرساً

وابدع مباني موسكو كنيسة واسيلي المطوَّب بناها ايڤان الرهيب سنة ١٥٥٤ تذكاراً لاخذهِ قازان وبانيها مهندس ايطالي ويقال ان ايڤان فقأ عينيهِ لئلا يبني كنيسة اخرى مثلها وهي المرسومة في الشكل المقابل والنظر اليها يغني عن وصفها ولا نقتصر غرابتها على التفنن في شكلها بل هي ملونة بالوان كثيرة زاهية كأنها طاووس او طائر من طيور الجنة .

وجرس موسكو المشهور صُبَّ في ذلك العهد وثقلهُ ٢٨٨ الف رطل اي ١٣١ طناً

ولم يكتفِ هؤلاء الصنّاع ببناء الكنائس وصب الاجراس بل بنوا الحصون وصبوا المدافع فاستعزَّت بهم روسيا الى ان استردت مقامها بين الدول الاوربية الكبرى كما سيجيء

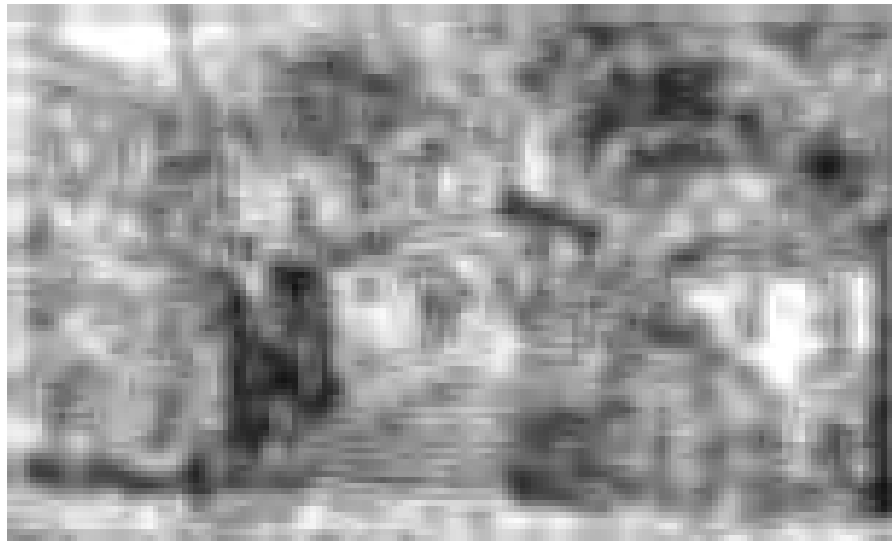

انتصر الخزع

تمثالا الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات

— رفع الستار عنهما —

الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة الواقع في ١١ ابريل كان ميعاد رفع الستار عن تمثالي المرحومين الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات . وما ازف الوقت المعين حتى كان منتدى المدرسة الكلية الكبير حافلاً بطلبة دوائر المدرسة العليا وفي مقدمتهم فريق من فضلاء الاجانب والوطنيين وجلس على منبر المنتدى الرئيس الشيخ الدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة واعضاء المؤتمر الطبي الثاني وهم نيف وثلاثون طبيباً من ابناء الكلية

ووضع التمثالان على الجهة البحري من المنبر تمثال الدكتور فان ديك يجللهُ العلم الاميركاني وتمثال الدكتور ورتبات يجللهُ العلم الانكليزي ونشر على الارغن الكبير العلم العثماني

وعند طول الوقت انتصب الدكتور بورتر الرئيس العامل في غياب الرئيس بلس واشار الى الدكتور مور الذي كان جالساً بازاء التمثالين ان يرفع الستار عنهما وما كاد يسقط الستار حتى نهض جميع الحاضرين اجلالاً وصفقوا طويلاً لظهور التمثالين ثم جلسوا واستأنف الدكتور بورتر الكلام فقال

« كنا نود كثيراً لو تمكن جناب الدكتور يعقوب صرُّوف ان يحضر بيننا بالذات بالنيابة عن متخرجي المدرسة الذين قدَّموا لها هذين التمثالين على انهُ قد تكرَّم فأرسل الينا خطاباً يشير الى ذلك ليتلى في هذه الحفلة وقد سألنا احد اعضاء المؤتمر الطبي المجتمعين معنا جناب الدكتور اسكندر مشاقه أن ينوب عن الدكتور صرُّوف بتلاوته »

فوقف عندئذٍ الدكتور مشاقه وتلا خطاب الدكتور صرُّوف وهذا هو : —

ايها الفضلاء

انتدبتني اللجنة التي اهتمت بعمل هذين التمثالين من ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري وسائر الاقطار لكي انوب عنها في تقديمها الى عمدة مدرستنا لتحفظ بهما تذكاراً خالداً لاستاذينا المرحومين الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات اللذين علَّما وعملا والَّفا وصنَّفا ووعظا وارشدا مدة نيف على خمسين سنة كانا فيها مثال الفضيلة والتقوى وتبراس العلم والهدى وآية في نصرة الحق والقيام بالواجب

واني آسف جدًّا لانني لم اتمكن من الحضور بنفسي للقيام بهذا الفرض المقدَّس ولذلك رأيت ان اعرب عن غرض اللجنة بهذه الكلمات والتمس منكم الصفح عمَّا تروننهُ فيها من الاشارة

الى نفسي لان تلميذ الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات لا يستطيع في مثل هذا الموقف ان يتجنب الاشارة الى علاقته بهما لشدة ما كان لسيرتهما من التأثير في تلامذتهما

لما عُرض على ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري ان يختاروا تذكاراً لاستاذينا الكريمين قالوا ان الغرض من اقامة التذكار انما هو نفع الاحياء من تلامذتهما ومريديهما بعد اظهار شكرهم لهما على ما نالوهُ وتالتهُ البلاد كلها منهما . واي شيء انفع لنا نحن الاحياء من ان نتذكر سيرتهما الفاضلة واي شيء انفع للذين يأتون بعدنا من ان يتذكروا اعمال الذين كانوا من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في بلاد المشرق . وهل مثل صورة الوجه لتذكر اعمال صاحبهِ — الوجه الذي هو مرآة النفس ومجلى الاخلاق . فاجمعوا على جعل التذكار تمثالين يمثلان وجهي الفقيدين

العمران ايها السادة والسيدات بناء نحن اشتغل بتشييدهِ الوف والوف الوف منذ اخذ الناس يتعلمون لكنهم لم يتساووا في ما فعلوهُ بل كان منهم المجلّون الذين عمل الواحد منهم اكثر مما عملهُ الوف . هؤلاء هم قادة الافكار ونبراس الهدى والمعلمون الذين جمعوا اثمار الاختبار ولم يكتفوا بجمعها والتمتع بها بل بسطوها على موائد عصورهم وحثوا الناس على مشاركتهم في الانتفاع بها مثل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وكنفوشيوس وبطليموس وجالينوس والغزالي والرازي وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وفرنكلين وباستور ولستر ومئات غيرهم

ومن اول مقومات العمران واخص مميزاتهِ حفظ الاختبار والبناء عليهِ وبذلك صارت معارف الناس كتاباً متصل الفصول يبتدئ التالي منها حيث انتهى الاول وسلسلة محكمة الحلقات من امسك بالحلقة الاخيرة منها كأنهُ امسك بها كلها

ومن اشرف خلال الانسان واولها على شرف نفسهِ الاعتراف بفضل المحسنين اليهِ المتفضلين على ابناء نوعهِ . فتذكار المعارف والاعتراف بالموارف دعامتا العمران وهما اللذان اقاما التماثيل للفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ولقادة الجيوش ورسل السلام . فعسى ان تشيع بيننا هذه العادة الحميدة وان نحسن الاختيار فلا نجمع بين الغث والسمين فتضيع الفائدة المقصودة

وكتلميذ لاستاذينا الكريمين وصديق لهما حتى الممات اسمحوا لي ان اشير الى بعض مزاياهما التي يجب ان لا تبرح من اذهان ابناء المدرسة الكلية وكل محبيها والتي يراد ان يذكرنا هذان التمثالان بها

الدكتور فان ديك مثال العلم والتدقيق . واللطف والدعة . ومحبة الحق والمجاهرة بهِ .

وخوف الله وعمل الخير

مثال العلم والتدقيق — الطب وفروعهُ . الرياضيات وما يبنى عليها . الطبيعيات ومتعلقاتها . العربية وآدابها . واللغات الحية والميتة التي عرفها مع لغتهِ الانكليزية

وقع لي منذ مدة كتابان من كتبهِ احدهما كبير ضخم دقيق الحروف . قانون ابن سينا المطبوع في رومية العظمى منذ ٣٢٠ سنة فحسبت انني وقعت على كنز ثمين وجعلت اللّهُ واذا الدكتور فان ديك قد قلّبهُ بل درسهُ قبلي وابقى فيهِ آثار عملهِ وتدقيقهِ بما ترجمهُ فيهِ من الكلمات الطبية بما يرادفها في اللاتينية او اليونانية . والكتاب الثاني صغير الحجم جدًّا كأنهُ صُنع ليوضع في الجيب تذكرةً وهو دفتر بعضهُ بخطهِ وبعضهُ بخط اليازجي استاذهِ في العربية وكلهُ فصائد مشهورة ومقاطيع شعرية كتبها ليستظهرها

ولو تصفحنا كتبهُ الرياضية والطبيعية والدينية والادبية لوجدناها كلها على هذا النسق . واحر بمؤلف البائولوجيا والتشخيص الطبيعي والعروض والقوافي والجبر والهندسة والكيمياء والفلك ومترجم التوراة وابن حور ان يكون اماماً في كل العلوم

ومن من اخواني الذين كانوا في هذه المدرسة لما كنت فيها تلميذاً ومدرساً لا يتذكر الدكتور فان ديك في مرصدهِ او في المستشفى وفي حلقة التدريس او دار الطباعة وفي مكتبتهِ او حديقتهِ وعلى منبر الوعظ او دكة الخطابة — حياة كلها همة ونشاط وعمل نافع وخير عميم

اما لطفهُ ودعتهُ ففي غنى عن الوصف . ومن من كل معارف الدكتور فان ديك لا يتذكر ذلك اللطف وتلك البشاشة ذلك الانس وتلك المحاضرة . الامثال الفكاهية والاشعار الحكمية . لا اعرف خاطراً احضر من خاطرهِ . كأنّ امثال العرب وفكاهات العامة عالقة كلها بذهنهِ ترد الى لسانهِ كلما اقتضتها الحال . وليس امثال العرب فقط وجوامع كلمهم بل امثال الانكليز واليونان والرومان . لم ينطق بلساننا اجنبي افصح من الدكتور فان ديك ولا اعرف احداً كان اسرع منهُ خاطراً او اقوى ذاكرةً او ابش وجهاً او اكثر دعةً . اذا قابلتهُ بعد ان غبتَ عنهُ السنين الطوال قابلك باشًّا وذاكرك في ما كان يذاكرك بهِ ويلذّ لك سماعهُ كأنك كنت معهُ بالامس . يزورهُ الملوك والامراء والرؤساء كقضاء فرض وهو ينادي خادمهُ « يا اخي فلان » لا عن تدنٍّ بل عن دعة ولين عريكة لانهُ كان قويًّا على الاقوياء لا يهاب احداً ولا يتزلف الى احد ولا يخاف في الحق لومة لائم

كان يحبُّ الحق ويجاهر بهِ واذا رأى احداً مرتديًا ثوب الرياء لم يخفِ عنهُ غيظهُ منهُ ولو كان من اكبر الكبراء

وكان خوف الله نصب عينيهِ والنظر الى عظمة الخالق دليلهُ في ارصادهِ الفلكية واشغالهِ الطبية ومواعظهِ الدينية

وعمل الخير يشهد لهُ بهِ الذين علَّمهم على نفقتهِ والذين طبَّبهم مجانًا والذين اعطاهم ثمن الدواء والغذاء والذين كانوا يعيشون من احسانهِ

ان رجلاً مثل الدكتور فان ديك لحقيق بان يكون قدوةً لكل احد في كل شيء في العلم والتدقيق في اللطف واللسعة في محبة الحق والمجاهرة بهِ في خوف الله وعمل الخير

واستاذنا الثاني الدكتور ورتبات تلميذ استاذنا الاول وشريكهُ وصديقهُ جاراهُ في كل شيء ونسج على منوالهِ ولم يختلف عنهُ الاَّ في ما يدعو اليهِ اختلاف المزاج . لم يبلغ مبلغهُ في العلوم الرياضية والطبيعية فلم يؤلف فيها ولا رصد الافلاك ولا حلَّل نور الشمس ولكنهُ جاراهُ في العلوم الطبية ونافهُ في بعضها ولا تزال الاعضاء التي شرَّحها واظهر ادق عروقها وانسجتها في معارض المدرسة الطبية دليلاً على تفوُّقهِ في علم التشريح . وابقى في العربية كتابين عليهما جليلين كتاب التشريح وكتاب الفسيولوجيا عدا الكتب الصحية التي وضعها للجمهور

الدكتور فان ديك غربي استشرق والدكتور ورتبات شرقي استغرب . كما امتلك الاول ناصية العربية كأنها لغتهُ التي ولد فيها امتلك الثاني ناصية الانكليزية . رأيت الدكتور ورتبات اول مرة في مدرسة عبيه منذ ثمان وار بعين سنة فوعظ بالعربية بلغة فصحى ووعظ في ذلك اليوم عينهِ بالانكليزية بلغة لا تقلُّ عنها فصاحة كما قال ابناؤُها . وقد ابقى من الكتب في اللغتين ما يشهد لهُ بطول الباع فيهما

تراهُ بادئَ بدء فتظنهُ عبوسًا شديد المراس ولكنك لا تلبث ان تكلمهُ حتى تراهُ من افكه الناس حديثًا والينهم عريكة كأن الانس والبشاشة تجسما فيهِ ولم يدلُّ وجههُ عليها . اختار لسكناهُ بيتًا في بيروت لهُ حديقة واسعة ملأها ببديع الازهار والرياحين وكان يعمل فيها بيديهِ ومهَّد فيها ساحة للالعاب الرياضية كنت تراهُ فيها يلاعب الشبان كأنهُ واحد منهم

كان الحق بغيتهُ ومعبودهُ ولكنهُ لم يكن شديد الوطأة على اصل الشر كما كان استاذهُ الدكتور فان ديك بل كان يلتمس لهم الاعذار . ولقد سرَّتهُ الكلمة العامية « ليصطفلوا » فقال ان اصلها « ليفتصلوا » وكان يقولها كلما رأى خللاً في قوم يتعذَّر عليهِ اصلاحهُ

وكان خوف الله نصب عينيهِ دائمًا وطالما جعل موضوع مواعظهِ « ايها الشاب اذكر خالقك في ايام شبابك » . او « التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة »

اما عمل الخير فلم يفقهُ فيهِ احد . اخبرني رجل اثق بصدقهِ قال دعوتهُ لمعالجة زوجتي وكان

داؤها مزمناً فجعل يعودها مرةً كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة يوماً فيوماً . وثقُل ذلك عليَّ لضيق ذات يدي فقلت لهُ يوماً الا يمكن جعل الزيارة مرةً كل يومين فنظر اليَّ مفكراً وقال لي ما عملك وكم راتبك فاخبرتهُ فجاءني في اليوم التالي ومعهُ كل النقود التي اخذها مني واوجب عليَّ استرجاعها و بقي يعود زوجتي و يعالجها ويجلب لها الدواء الى ان شفيت ولم يأخذ مني غرشاً

وكان يربأ بنفسهِ ان يرى نفعاً ولا يشرك غيرهُ فيهِ فلم يطلع علي مقالة مفيدة في اللغة الانكليزية الاَّ ودَّ نقلها الى العربية وكثيراً ما كان يترجم المقالات بنفسهِ او يشير عليَّ بترجمتها ونشرها في المقتطف . ومن هذا القبيل الامثال العربية التي ترجمها الى الانكليزية والامثال الانكليزية التي ترجمها الى العربية وغرضهُ من ذلك نشر الفوائد والنفع للناس لا الفائدة لنفسهِ

وخلاصة القول انهُ والدكتور ڤان ديك صنوان متماثلان في العلم والتدقيق واللطف والدعة ومحبة الحق وخوف الله وعمل الخير

فهذان التمثالان ايها السادة والسيدات يمثلان لكم ذينك الفاضلين اللذين اسَّسا مع رصيفهما استاذنا المرحوم الدكتور بوست القسم الطبي من هذه المدرسة وهو لا يقل عنهما علماً وتدقيقاً وقد ينوقهما همة واجتهاداً . ولهما وله الفضل الاكبر في هذه النهضة العلمية الادبية في بلادنا الشرقية . وعسى ان يكون النظر الى هذه التماثيل الثلاثة والى التمثال الرابع السابق لها تمثال رئيسنا الاول الدكتور بلس اكبر محرّض لتلامذة المدرسة الكلية على الاقتداء باساتذتهم في كل ما هو صالح نافع يعقوب صرّوف

ثم وقف الدكتور بورتر وخاطب الحاضرين بالعربية فقال

« يجب عليَّ بالنيابة عن رئيس المدرسة النائب وعن العمدة وعن دائرة الامناء في اميركا وعن سائر اصدقاء المدرسة الكلية ان اقبل هذين التمثالين اللذين يمثلان لنا وجهي ذينك الاستاذين الفاضلين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وان أُقدم للدكتور صرّوف ولسائر رفقائهِ الذين اشتركوا باقامة هذا الاثر الجميل مزيد الشكر لاجل هذه التقدمة الجليلة التي تليق بذينك الرجلين العظيمين اللذين كانا من مؤسسي مدرستنا الطبية ومن اركان نجاحها مدة سنين عديدة

ويسرنا ما قالهُ الدكتور صرّوف في خطابهِ البليغ ان الغرض من تقديم هذه الهدية للمدرسة الكلية انما هو تخليد ذكر ذينك الاستاذين العظيمين ونفع الذين يأتون بعدهما امثالنا لكي تظل رؤية وجهيهما باعثاً لنا على اقتفاء آثارهما والنسج على منوالهما . هذا فضلاً عما في هذه الهدية من دلائل محبة المتخرجين واكرامهم لاساتذتهم وللمدرسة امهم "Alma Mater" التي ربتهم

وغذّت عقولهم بلبان العلم والمعرفة وجهزتهم للعمل والجهاد في هذه الحياة لمنفعة الناس

واسمحوا لي ايها السادة ان اقول كلمة شخصية في هذا المقام بالنظر لكوني مع رئيس المدرسة الاكرامي الدكتور دانيال بلس آخر من تبقّى في هذه المدرسة من الاحياء ممن عاصروا واشتغلوا مع المرحومين صاحبي هذين التمثالين. جئت الى هذه المدرسة شابًّا من زهاء ثلاث واربعين سنة فكنت انظر الى ذينك الاستاذين كما ينظر الابن الى ابيهِ واطلب منهما النصح والارشاد كما يطلب التلميذ نصح معلمهِ وارشادهُ. ولذلك فاني استطيع ان اقدّر قدر الكلام الذي قالهُ فيهما الدكتور صرّوف وفي مزاياهما الشهية فقد استفدت منهما فوائد عظيمة كما استفاد هو وسائر تلامذتهما. واني احسبهُ من مسرّات حياتي وبركاتها في هذه الدنيا أني وُفّقت ان تعرّفت بالمرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وكنت شريكاً لهما في خدمة هذه المدرسة فاكرّر الشكر والثناء على حضرات المتخرجين الذين ذكروا مدرستهم واساتذتهم بهذه الهدية الثمينة وفيها ما فيها من دلائل المحبة والاكرام

بقي عليَّ كلمة خاتمة اقولها بالنيابة عن عمدة المدرسة. يعلم البعض منكم انهُ لما استقال المرحوم الدكتور فان ديك من منصبهِ كاستاذ في المدرسة الكلية سنة ١٨٨٣ استاء لذلك عدد من تلامذتهِ وخصوصاً من صف المنتهين في الدائرة الطبية فخرجوا من المدرسة واكملوا دروسهم في غير الكلية ونالوا شهاداتهم من المكتب الطبي في الاستانة فبمناسبة هذا الاحتفال قررت العمدة ان تضم اسماء اولئك الطلبة الى اسماء رفقائهم مخرّجي سنة ١٨٨٣ بحيث يصيرون من الآن فصاعداً في عداد مخرجي الدائرة الطبية في المدرسة الكلية. وهذه هي اسماؤهم مع حفظ الالقاب: — اسكندر بارودي. جرجي باز. سليم جريديني. باخوس الحكيم. ابرهيم صيلبي. حبيب كحيل. ابرهيم مطر. انطون نوفل. فؤاد شهاب. ابرهيم ثابت »

ثم تكلم الدكتور بورتر بالانكليزية بملخص ما قالهُ لفائدة الذين لا يفهمون العربية

وقبل اختتام نهض الدكتور سليم بك حلخ واثنى على فكرة العمدة وشكر لها قرارها بشأن المتخرجين الاطباء ورجا ان يكون قرارها هذا شاملاً ايضاً الصيادلة [1] الذين خرجوا في ذلك العهد لسبب نفسهِ ثم وقف الجميع وانشدوا نشيد الكلية وكان ذلك خاتمة الحفلة

وفي اليوم التالي نُقل التمثالان الى قاعة الاستقبال العمومية في بناية ضودج وسيبقيان هناك اثراً خالداً يمثّل حاسّات من قدموها واحترامهم لذينك الاستاذين الكريمين اللذين خدما العلم والبلاد خدمة يتعذر مثالها

بولس الخولي

(١) علمنا بعد الحفلة ان قرار العمدة يشمل الصيدليين انطونيوس منسي وانسيم بدون رزق الله

رصاصة في المخ

طالما نسمع ونقرأ عن غرائب سير الرصاص الذي يطلق من عيارات نارية في جسم الانسان واعضائهِ الحيوية وخروجها او بقائها فيهِ بدون ان تسبب ادنى ضرر او تأثير في الجسم . ومن هذا القبيل اذكر حادثة شاهدتها بنفسي اخيراً فانها لا تخلو من فائدة وفكاهة للقراء

منذ خمسة اشهر تقريباً حضر الشاب (. . .) ماشياً مسافة نصف ساعة من منزلهِ الى اجزاخانة الهلال في المرسكي للمعالجة وهو يشكو من دوخان وألم في رأسهِ من دخول رصاصة في قتهِ من مسدس اطلق عليهِ خطأً في الليلة السابقة . فبعد الكشف على الجرح وجدت اثر نزف دموي شديد على الرأس والجبهة وحيث لم اتمكن في الاجزاخانة من فحص الجرح مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد العفونة كما يتبغي اخبرتهُ ان يتوجه للعيادة وعند حضوره فحصت محل الاصابة وتحققتُ بالمجس وجود جرح ثقبي عمقهُ نحو ٣ سنتي خارقاً فروة الرأس والجمجمة والاغشية والمخ . وعند ادخال المجس حصل نزف شديد وكان المخ مكشوفاً في محل الجرح والاغشية ترتفع وتنخفض مع ضربات القلب وحصل لهُ اغماء قليل فاكتفيت حينئذٍ بتطهير الجرح جيداً وربطهِ بدون ان اقف على حقيقة الحالة وعلى محل وجود الرصاصة . وبما ان المريض لم يقبل نصيحتي بوجوب دخولهِ الى احد المستشفيات ليكون تحت المراقبة ولاجراء عملية جراحية لرفع العظم الضاغط على المخ واستخراج الرصاصة عند ظهور علامات اذا امكن عالجتهُ مدة يومين او ثلاثة في منزلهِ الى ان تمكنت من ايقاف النزف ثم فضلت اخذ رسم الجمجمة باشعة رونتجن على ادخال المجس ثانية للاستدلال على محل الرصاصة . وبعد اخذ الصورة وجدت ان الرصاصة قد انكسرت عند دخولها الى قسمين القسم الواحد وهو الاصغر بقي عند فم الجرح والقسم الثاني وهو الاكبر خرق عظم الرأس والمخ وبقي داخلهُ كما يظهر جلياً من الرسمين المقابلين . فاستخرجت القطعة التي عند فم الجرح مع قطعة عظم منفصلة من الجمجمة بواسطة تكبير الجرح قليلاً وسحبها بالجفت فقط واما القسم الثاني من الرصاصة فلا يزال للآن داخلاً في مخ الشاب المذكور مع ان الجرح قد شفي تماماً . ومما يستحق الذكر ان في كل هذه المدة لم يظهر اقل علامة عصبية كتشنج او شلل وما اشبه وهو الآن يتعاطى اشغالهُ كالعادة بتمام الصحة والرصاصة داخل مخه . وهذا مما يثبت انهُ ليس في مقدم المخ وظيفة مهمة

الدكتور هلال فارحي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن برآء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي سهولة الادراج وعدم ما يأتي : (١) المناظر والمظهر مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) (٣) الغرض من المناظرة الوصول الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم

(٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

بحث لغوي في كلمة مَهِيم

من المشهور ان اللغتين العبرية والعربية شقيقتان لتقاربهما لفظاً ومعنىً وكما اننا نفسر كلمات عبرية من العربية كذلك الكلمات العربية التي لا نعرف اصلها نبحث عنها في العبرية

فاحدى هذه الكلمات هي كلمة « مَهِيمْ » فقد اختلف اللغويون فيها وخلاصة اقوالهم هي : اولاً انها كلمة يمانية ثانياً انها كلمة مركبة ثالثاً ان اول من قالها هو ابرهيم الخليل اي انها عبرية ولقد صدقوا كما سنبين

اننا نجد انهُ لما كان الاسرائيليون في دارهم اذا ارادوا الاستفهام عن امر لم يكونوا ينتظرون وقوعهُ في تلك الاونة كانوا يستعملون جملة مركبة من ثلاث كلمات « ما هَيُومْ مِيَّامِيمْ » ترجمتها ما اليوم من الايام اي ما حدث اليوم خلافاً عن الايام قبل هذا (وفي رواية اخرى « ما يوم مِيُومايِمْ » اي ما حدث اليوم خلافاً لليومين قبل هذا والمعنى واحد)

ومن المعلوم ان الاسرائيليين اليمانيين يلفظون الضمة المبسوطة (o) مثل الفتحة يمالة قليلاً حتى انها اقرب الى الفتحة منها الى الضمة فبناء عليهِ يكون لفظ هذه الجملة عندهم مَهِيمْ او مَهِيمْ مِيَّامِيمْ وهم يرونها بلفظ الرواية الاولى المذكورة . فسمعها العرب اليمانيون والفوها وانما اقتصروا على مهيم واسقطوا كلمة ميامي ايجازاً وتخفيفاً . فمن راجع الاحاديث النبوية التي وردت فيها كلمة مهيم يرى انها استعملت في الظروف المناسبة لمعناها بالعبرية

ولاتمام الفائدة نقول انهُ اذا كانت الجملة الاستفهامية المذكورة تستعمل لامور تحدث نهاراً فقد نجد جملة مثلها مستعملة لحوادث الليالي وهي في سفر اشعيا ٢١ : ١١ : وحي دومة اليَّ هاتفٌ من سعير [يا] حارس ما من ليل ؟ [يا] حارس ما من ليل ؟ اي ما حدث الليلة خلافاً لسائر الليالي ؟

اسحق بنيامين يهودا I. B. Yahuda

نظام الرصاص الكروي

نظام الرصاص الكروي مع ذيل

باب الزراعة

البرتقال في كليفورنيا باميركا

بدأت زراعة البرتقال في كليفورنيا (وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية) في القرن الثامن عشر لما اتاها الرهبان الفرنسيسكان وانشأوا فيها مراكز لتعليم الهنود الاميركيين ونشر الديانة المسيحية بينهم . فان بعض هؤلاء الرهبان اتى ببزر البرتقال من اسبانيا فزرع في الحدائق حول الكنائس فنبت وجاد

وبقي البرتقال مدة طويلة لا يزرع الاَّ في الحدائق حتى رأى بعض الفلاحين ان يغرس بستاناً كبيراً منهُ في البقعة التي بنيت فيها مدينة لوس انجلس بعد ئذٍ . ثم جاءت مصلحة الزراعة الاميركية بفسائل من نوع من البرتقال عثر عليهِ على ضفة نهر الامازون في اميركا الجنوبية فطعمت منهُ الاشجار الاخرى فاتت بثمار طيبة الطعم وكثرت زراعتهُ . ولما انشئت السكك الحديدية التي تصل غرب الولايات المتحدة بشرقها كثر الطلب على برتقال كليفورنيا واتسع نطاق زراعتهِ حتى اصبح دخل الولاية منهُ كل سنة نحو مئة ملايين من الجنيهات

الاَّ انهُ كثيراً ما تسطو الحشرات القشرية على البرتقال فتلصق بجذع الشجرة واورانها وثمارها فتلحق بها ضرراً كبيراً . واكثر ما تصيبهُ هذه الضربة في ساحل البحر حيث تكثر الرطوبة في الهواء . ولاصحاب البساتين في معالجتها طريقتان تقوم احداها برش الشجرة المضروبة بالمواد السامة والاخرى بتبخيرها بها والطريقة الثانية تفضل الاولى . وهي المستعملة الآن في القطر المصري

فاذا ارادوا تبخير شجرة عمدوا الى خيمة كبيرة فجللوا بها الشجرة ثم اتوا بسيانيد البوتاسيوم ومزجوهُ بالماء والحامض الكبريتيك في صحفة وتركوها تحت الملاءة . فتتصاعد من الصحفة أبخرة الحامض الميدروسيانيك فتتخلل اوراق الشجرة واغصانها وتقتل الحشرات

واذا حان قطاف البرتقال اتى رجال يحسنون هذه المهنة فيأخذ كل منهم مقراضاً مخصوصاً وكيساً يطلقهُ بعنقهِ ثم يرقى الى الثمار على سلَّم فيقطفها بقرض اعنانها التي تعلق بها ويجمعها في الكيس . ثم تجعل في صناديق يسع كل منها نحو ٥٠ رطلاً وتنقل في عربات

الى حيث تهيأ لارسالها الى الولايات الشرقية . ويعتنى بنقلها كثيراً لئلا ترض لان البرتقال اذا لم يرضّ بقي مدة طويلة لا يدب فيهِ الفساد

وعند ما يصل الى المكان الذي يهيأ فيهِ للشحن يجعل في آلة ذات فُرُش تمسحهُ وتزيل الغبار عنهُ الاَّ ان بعضهُ يحتاج الى الغسل فيغطس قبل ذلك في الماء فيغسل ثم يمر على الفرش فتنظفهُ جيداً . ويعرض بعد ذلك لاشعة الشمس حتى يشف ويقسم الى اصناف حسب حجمهِ وجودتهِ . ويستعينون على كل ذلك بآلات حديثة تعمل الآلة منها في اليوم ما يعملهُ خمسون رجلاً

وبعد ان يقسم كذلك يلف بالورق ويرتَّب في الصناديق التي يشحن بها . ويقوم على لفهِ بنات تلف الواحدة منهنَّ ما يملأ ثمانين او تسعين صندوقاً كل يوم . ويحمل في كل صندوق من ٦٤ برتقالة الى ٣٦٦ ثم يسمَّر غطاؤهُ باعتناء لكي لا يرضَّ الثمر ولا يضغط عليهِ ويكتب على الصندوق عدد ما فيهِ من البرتقال وصنفهُ

وليس من البرتقال الاَّ نوع واحد ينضج في الصيف وهو النوع المعروف بالبلسي ويجنى من يونيو الى اكتوبر . اما باقي الانواع فيبدأ بقطفها في دسمبر ولا ينتهي منهُ الاَّ في يونيو الاَّ ان معظم موسمهِ يجنى من يناير الى مارس

وقد شاهدنا برتقال كليفورنيا في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فاذا هو من اجود انواع البرتقال شكلاً وطعماً

ومن الولايات الاميركية التي يجود فيها البرتقال ايضاً فلوريدا وقد قدّرت مساحة الارض التي تصلح لزراعتهِ فيها بعشر آلاف ميل مربع او اكثر من ستة ملايين فدان . وبرتقالها لذيذ يفضل برتقال كليفورنيا طعماً الاَّ ان برتقال هذه اكبر حجماً

وفي هذه الولاية بستان من اقدم بساتين البرتقال في اميركا فيهِ نحو ٥٠ شجرة اعتنى بهِ اولاً رجل انكليزي نزل الولاية سنة ١٨٣٧ فهذب اشجاراً برية من البرتقال وطعمها . ويقدَّر دخلهُ باكثر من ثلاثمئة جنيه كل سنة ومعدل حمل كل من اشجاره من الفي برتقالة الى خمسة آلاف

ولما بدأت عمارة فلوريدا كان فيها كثير من حراج البرتقال البري فظن اولاً انهُ اصلي فيها لكن ثبت بعد ذلك ان الاسبانيين حملوهُ اليها من اسبانيا قبل ذلك العهد . والفلاحون هناك يزرعون النارنج ويطعمونهُ برتقالاً

وسنة ١٨٦٨ اتي الى فلوريدا بفسائل البرتقال الصيني فانتشرت منها الحشرة المعروفة

بالحشرة القشرية وعمت جميع اقسام الولاية وقد خفت وطأتها الآن بعد ان اكتشفت طريقة امانتها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما تقدم

كيف بدأت زراعة الذرة

لتاريخ الذرة وشئونها اهمية في نظر المؤرخ والفيلسوف لا تقل عن اهميتها في نظر علماء الزراعة والنبات وذلك لانها من الحبوب الزراعية التي مكّنت الانسان من التحضر وقد بحث العلماء عن اصلها اكثر مما بحثوا عن اصل غيرها من انواع النبات الزراعية

وطريق العالم في تحقيق اصل النبات هي ان يجمع ما يقدر على جمعه من الحقائق المعروفة فيوفق بينها و يبني عليها حكمهُ . واذا اعوزتهُ الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في قرائن الاحوال و يبني احكامهُ عليها . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوتهُ اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً

واذا بدا للعالم من القرائن ما لا يلتئم مع غيره وجّه عنايتهُ اليه ووالى البحث عنهُ حتى يتبيّن لهُ سبب الاختلاف . وكثيراً ما يكون حل المسألة النهائي منوطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

مثال ذلك جاء في اقاصيص اهل ايسلاندة وهي جزيرة الى الشمال من بلاد الانكليز ان جماعة من اهل الشمال اتوا شواطئ اميركا الشمالية حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية . ولم يعرف في اي قسم من اقسام اميركا نزلوا ولكنهم وصفوا السكان الذين رأوهم بانهم قصار القامة قباح الهيئة لهم عيون كبيرة وخدود عريضة ويركبون زوارق من الجلد . وهذا الوصف ينطبق على الاسكيمو . ولكن جاء في تلك الاقاصيص ايضاً انهم رأوا شجر المورس وشاهدوا الحنطة نامية في البرية من نفسها وملأوا قواربهم من كبوش الخمر الناضجة في فصل الربيع . فقال البعض ان كبوش الخمر التي ذكروها هي العنب والحنطة التي تنمو من نفسها هي الرز البري وشجر المورس هو الجرمشق . والتناقض في هذا الكلام ظاهر فان الخبيرين يعلم الانسان يؤكدون ان الاسكيمو لم يرحلوا قط جنوباً الى حيث تنمو الانواع المذكورة من النبات وعلماء النبات يقولون ان العنب والرز البري لا ينبتان في الشمال الشرقي من اميركا فضلاً عن ان العنب لا يثمر في الربيع

فذهب البعض ان تلك الاقاصيص ملفقة لا صحة لها وذهب آخرون ان الاسكيمو

رحلوا جنوباً الى ان دنوا من المكان الذي بنيت فيهِ مدينة بوستن وقال غيرهم ان اولئك المكتشفين انما رأوا الهنود سكان اميركا الاصليين وان كان الوصف الذي اوردوهُ لا ينطبق عليهم تماماً . لكن جاء بعد ذلك الاستاذ فرنالد فبيّن ان وصف اجناس النبات التي ورد ذكرها في تلك الاقاصيص ينطبق تماماً على اجناس تنمو الى الشمال من نهر سانت لورنس فزال بذلك الاشكال وظهر ان اقاصيص اهل الشمال تبين حقائق صحيحة يمكن الاخذ بها

اذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البري منهُ ويبحث عن الاماكن التي ينمو فيها وقلما تخطئ طريقتهُ هذه . ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو برياً فيسدُّ هذا الباب في وجهه فيعمد عندئذٍ الى طريقة اخرى وهي ان يرقب النبات في نموهِ ونشوء اعضائهِ ويقابل بينهُ وبين غيرهِ لعلهُ يعثر على جنس يقرب منهُ ولو كان حبل القرابة طويلاً

ومن الابواب التي يطرقها ايضاً في البحث عن اصل جنس من النبات مقابلة بقاياهُ المتحجرة والنظر في ما يطلق عليهِ من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يُعرَف فيها من قبل ينقل اسمهُ ايضاً . ولا يعتدُّ بهذا الامر ولا يبنى عليهِ حكم الاَّ اذا امكن تأييدهُ بقرائن اخرى . وسنطرق هذه الابواب جميعها في بحثنا عن اصل الذرة وكيفية نشوئها

يرجح ان الذرة لا تنمو برية ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين المدققين لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة وهذا مما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . ذهب كثيرون انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل اكتشاف اميركا مستندين في ذلك بالاكثر على بعض الادلة التاريخية . واسم الذرة الشائع بين سكان الولايات المتحدة مايز (Maize) مأخوذ عن اصل هندي اميركي الاَّ انهُ لم يشع الاَّ بعد سنة ١٥٧٠ . وتعرف في لغات اوربا باسماء تشعر بان اصلها من البلدان الشرقية فالانكليز يسمونها بالقمح الهندي (Indian corn) والفرنسويون بالقمح التركي (blé de Turquie) . وتعرف في مصر بالذرة الشامية لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية ولا تركية ولا شامية والنسبة الى البلدان لا تكون دائماً صحيحة فالديك الذي يسمَّى في مصر بالديك الرومي يسمَّى في سوريا بالديك الحبشي وعند الانكليزي بالتركي وعند الفرنسويين بالهندي . ولقد قال الفونس دي كندول ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والقوزج من فرنسا وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا من

ايطاليا و بالقمح الهندي في صقلية و بالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنه . والترك ينسبونها الى مصر (مصر بوغدايي)

ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في الميرانية ولم يعثر لها على اثر في النقوش والكتابات المصرية . وقد وجد احدهم سنبلة منها في قبر في طيبة ولكن لا شك في انها وصلت الى ذلك المكان في الازمنة المتأخرة اذ لا يعقل ان يكون المصريون عرفوا هذا النبات وقاموا على زراعته ثم اغفلوه في نقوشهم التي لم يغفلوا فيها نوعاً من انواع النبات التي عرفوها . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ولكن البعض كانوا يظنون انهُ أتي بها من الشرق في القرون الوسطى . ومن القائلين بذلك بونافوس وقد كان اكبر من كتبوا في هذا الموضوع في بدء القرن التاسع عشر وتابعهُ بعد ذلك كثير غيرهُ . واكبر دليل اعتمدوا عليهِ في قولهم هذا وثيقة كتبت سنة ١٢٠٤ ورد فيها ذكر حبوب اتي بها من الاناضول وقدمت لمدينة انسبزا في ايطاليا وظن ان الحبوب المذكورة هي الذرة نفسها ولكن ظهر ان الوثيقة من اوضاع المتأخرين الملفقة

فلم يبقَ عند ذلك للقائلين بان الذرة من اصل شرقي دليل يعتمدون عليهِ الاَّ صورة في كتاب صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و١٥٩٧ و تمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في اسفلها اسم الذرة في الصينية . ولكن البرتوغاليين اتوا الصين سنة ١٥١٦ اي قبل كتابة الكتاب المذكور بنحو ستين سنة فلا يبعد ان يكونوا هم اوصلوا الذرة اليها . ومما يؤيد ذلك انهُ لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين التي لم يغفلوا فيها ذكر شيء

فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة دليل واضح على انها من اصل اميركي . وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف اميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق قبل ان يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها و يعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ بكثير

وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا بكثرة عندما اكتشفها الاوربيون وقد كانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم . ويستدل على قدمها واهميتها عندهم من ادخالها في اكثر شعائرهم الدينية . ووجد منها شيء كثير في قبور الهنود الاميركيين وفي هياكل المعبودات في المكسيك كما وجدت الحنطة والشعير في القبور المصرية . و يجب ان لا يفهم من هذا ان الاميركيين بدأوا بزراعتها لما بدأ المصريون بزراعة الحنطة والشعير فان عصر التمدن في المكسيك و بيرو متأخر كثيراً عن عصر التمدن المصري القديم . الاَّ ان انتشار زراعتها في اقسام كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في

الزراعة تبعث على الظن انها عرفت من زمن طويل . وقد عثر داروين على محجرات منها ممتزجة مع الصدف على قسم من شاطئ بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن مساواة البحر

يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي اميركا ولكن اي اقسام اميركا هو ذلك الموطن . نعرف من طبائع هذا النبات انهُ يجود في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنهُ في حالته البرية في سهول الاقسام الحارة ونلتمسهُ في السهول لان النبات الذي لا يعمّر الا سنة واحدة لا يخرج في الحراج والغابات . وقد كفانا علماء النبات عناء البحث الكثير اذ قد مضى عليهم نحو من ثلاثمئة سنة رادوا فيها السهول جميعها ولم يدعوا لبانًا الا وصفوهُ وشرحوا طبائعهُ . ولم يعثروا على نوع برّي من الذرة الا انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا وهو النبات المعروف بالتيوزنت (teosinte) ولذلك ترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول

والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر اكثر مما يختلف التيوزنت عن انواعها القريبة منهُ . وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن جنس الذرة وذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نشآ عن اصل واحد لا يختلف عن كل منهما الا قليلاً

واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيهِ عارية من الغلاف والاستغناء عن الغلاف درجة من درجات نشوئها . واذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض الانواع من ذوات الغلاف اتى النسل مغلف الحبوب قريبًا من التيوزنت لا يفرق عنهُ الا في امور قليلة . ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قويًا منتجًا

واكبر فرق بين الذرة والتيوزنت هو ان ازهار الاولى تنبت ازواجًا على شماريخ منتصبة بعضها ببعض اما زهور الثانية فتنبت ازواجًا على شماريخ ذات عقد وتكون منفصلة بعضها عن بعض . فلا يختلفان اذن الا في امرين مهمين فقط وهما تفرع الشمروخ وكثرة الحب

وقد تتفرع سنبلة الذرة الى فرعين او اكثر وربما كان ذلك رجوعًا الى الاصل الذي نشأت عنهُ . وقد اظهر تلقيح الانواع بعضها من بعض ان تفرّع السنبلة صفة وراثية في بعضها فقدتها الانواع الزراعية . اما كثرة الحب فلا تزال حتى يومنا هذا تزداد في الانواع التي يعتني بها المربون ليعرضوها في المعارض حتى عرضت سنابل فيها من ١٨ الى ٢٤ صفًا من الحبوب . ولم يكن شيء من ذلك في الذرة التي كان الاميركيون الاصليون يزرعونها

فليس بين الذرة والتيوزنت فرق كبير ويمكن تلقيح احدهما من الآخر . وهذا يثبت القرابة بينهما ويبعث على الظن انهما نوعان من جنس واحد او جنسان نشأا عن اصل واحد

ولا يجتمع البيض واللقاح في الزهرة الواحدة في الذرة بل يكونان في زهرات مختلفة من النبات الواحد وهذه الصفة راسخة في كثير من الفصيلة النجيلية (والذرة منها) والازهار التي تكون فيها البيوض تنبت على سواعد قصيرة تمر في آباط الاوراق اما الازهار التي تحتوي على اللقاح فتنبت في رأس النبات بهيئة الشعر . والسواعد التي تنبت في اطرافها السنابل اغصان قصيرة جداً حتى ان المسافات بين عقدها لا تزيد على ثمن العقدة طولاً . والاغلفة التي تكتنف الحب هي اوراق هذه الاغصان لكنها تكيفت واختلفت عن باقي الاوراق لكي تقوم برقاية الحب . ويظن ان هذه الاغصان كانت في الانواع الاصلية من الذرة طويلة بحيث تصبح سنابل الحب النابتة عليها محاذية للشعر

ولكن هل نقدر ان نثبت ان الذرة كانت في اول امرها مثل غيرها من الفصيلة النجيلية (اي الاعشاب القائمة على قصل) تجتمع في الزهرة الواحدة منها البيوض واللقاح . لم يحاول احد حتى الآن ان يجد نوعاً منها تظهر فيه هذه الصفة لكن اذا مررت بحقل خصب قد جادت فيه الذرة رأيت نباتات كثيرة قد نبتت فيها الحبوب الصغيرة في الشعر وقد ترى ايضاً زهرات اللقاح نابتة بين الحبوب . وهذا يدل دلالة صريحة على ان الزهرة الواحدة كانت تجمع بين البيوض واللقاح في العصور السالفة

فاذا جمعنا هذه الحقائق وضممنا بعضها الى بعض امكننا الرجوع بافكارنا الوفاً من السنين الى الزمن الذي كانت الذرة البرية تنمو فيه في سهول المكسيك واميركا الوسطى . وكانت اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على ارتفاع اكثر الانواع من الفصيلة النجيلية وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها . ثم تكيفت ازهارها بمرور العصور فاصبح بعضها يحمل البيوض وبعضها يحمل اللقاح . ثم ظهر نوع منها قصرت اغصانه كثيراً ونمت اوراقها وتكيفت حتى احاطت بالحب ووقته من الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا وثبت لهم نفعه فاعتنوا به ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة في انتخاب انواع الذرة اكثر مما اظهروا في تجارتهم بها مع الاوربيين الذين وطئوا بلادهم اولاً اذ كانوا يبيعونهم اكداساً منها مقابل ما لا قيمة له من الخرز وقطع الزجاج .

انتهى من مقالة للاستاذ ادورد ايست من اساتذة جامعة هارفرد باميركا

النيتروجين في الزراعة

تتألف انسجة النبات في الاكثر من مركبات الكربون والهيدروجين والاكسجين ويركب النبات هذه المركبات لنفسهِ من اكسيد الكربون الثاني والماء وتساعدهُ حرارة الشمس على ذلك . لكن لا بد لهُ ايضاً من مواد اخرى تدخل في تركيبهِ واهمها النيتروجين والفصفور والبوتاسا وهو يتناولها كلها من الارض بجذورهِ . ويذهب جانب كبير منها في الثمار والحبوب وسائر الحاصلات الزراعية فلا يعود الى الارض ثانية . ونتيجة ذلك تناقص هذه المواد الى ان تصير غير كافية لنمو النبات فلا بد اذن من ايجاد طريقة تبقيها في الارض على النسبة الكافية

والنيتروجين اهم هذه المواد واهم مصادرهِ النيتراتات الطبيعية التي توجد في بلاد شيلي وبيرو وبوليفيا في اميركا الجنوبية وكبريتات الامونيوم الذي يتولد عند عمل الكوك وغاز الاستصباح من الفحم . ويقدَّر ان النيتراتات الطبيعية التي في اميركا الجنوبية ستنفد بعد مدة تتراوح بين ثلاثين سنة ومئة سنة وتنفقات استخراجها آخذة بالازدياد في الوقت الحاضر . اما كبريتات الامونيا التي تتولد عند عمل الكوك والغاز فقليلة لا يمكن استعمالها لتسميد الارض بكميات كبيرة . ولا يحتاج الناس الى كميات كبيرة من الكوك والغاز لكي يصبح ما يتولد حين صنعها كافياً لذلك ولا الفحم رخيص ليستغنى عنهُ لاستخراج الامونيا

فاكثر النيتروجين المستعمل الآن يأتي من النيتراتات التي تستخرج في اميركا الجنوبية ويبلغ ثمن الرطل منها في اميركا واوربا نحو قرش ونصف وهو ثمن غالٍ لا يمكن معهُ ان يعم استعمال الاسمدة النيتروجينية بالمقادير اللازمة . ولذلك اهتم بعض العلماء بايجاد طرق تمكن من الانتفاع بنيتروجين الهواء

ولا يقتصر البحث في الانتفاع بنيتروجين الهواء على الطرق الكيماوية فقد اشترك فيهِ علماء النبات ايضاً فثبت لهم ان بعض المكروبات التي تعيش على جذور النباتات القرنية كالفول مثلاً تولد من نيتروجين الهواء مركبات يستطيع النبات ان ينتفع بها

وقد علل خصب الارض اذا تناوبت عليها الزروعات اي تبدَّل نوعها من سنة الى اخرى بفعل هذه المكروبات . فاذا زُرعت حنطة قلت كمية المركبات النيتروجينية فيها ثم اذا زرعت فولاً بعد ذلك نمت هذه المكروبات على جذور الفول وعوضتها عما خسرتهُ من مركبات النيتروجين في السنة السابقة

ومن اوضح الادلة على ذلك ما جرى في جزيرة كراكاتوى من جزر ملقا . ففي هذه الجزيرة بركان ثار سنة ١٨٨٣ فيبّس كل نبات فيها وغطاها بطبقة عالية من الرماد . وليس في هذا الرماد شيء من مركبات النيتروجين التي يمكن للنبات ان يتغذى بها ولذلك ظن اولاً ان الجزيرة امست جدباء لا ينمو فيها نبات . ولكنها مالبثت ان اكتست حلة خضراء ثبت لدى التحقيق ان القسم الاعظم منها من النباتات القرنية التي تتناول النيتروجين من الهواء بواسطة ميكروبات تعيش على جذورها

وهنا مجال واسع لعلماء النبات وعلماء الاحياء عموماً للبحث عن انواع المكروبات التي تفعل هذا الفعل وعن الانواع التي تنتفع المزروعات بها . وربما ادى البحث الى معرفة بعض الانواع التي يمكن تربيتها في التربة فتجعلها جيدة صالحة للزراعة عموماً او لكل نوع من المزروعات على حدة

لكن بحث علماء النبات وعلماء الاحياء اذا لم يأتِ بالنتائج المطلوبة فبحث علماء الكيمياء قد اتى بها فانهم اكتشفوا طرقاً للقبض على نيتروجين الهواء وتوليد الحامض النيتريك وسركاته منهُ وعلى هذه الكيفية يصنع الآن السماد الاسود المركب من النيتروجين والجير الذي يراد عملهُ بقوة انصباب الماء من شلال امّوان . وقد قلنا سابقاً ان الاسمدة النيتروجينية اما ان تكون قاعدتها الحامض النيتريك او الامونيا اي الغاز المركب من النيتروجين والهيدروجين . وكما تمكّن الكيماويون من تركيب الحامض النيتريك من نيتروجين الهواء واكسجينهِ تمكنوا الآن من تركيب الامونيا من نيتروجين الهواء وهيدروجين الماء على اسلوب تجاري اي على اسلوب قليل النفقات حتى تكون الامونيا رخيصة يمكن استعمالها سماداً وذلك بان يمزج النيتروجين النقي بالهيدروجين تحت ضغط شديد ويمر مزيجهما على حديد محمّى الى درجة ٥٠٠ — ٦٠٠ فتتولد الامونيا منهما وقد انشئ معمل في المانيا لعمل الامونيا على هذه الصورة

والخلاصة ان خصب الارض لم يعد من المسائل الغامضة ولا مما يتوقف على ما يمكن ان يتولد فيها من الميكروبات النافعة ولا على ما يتفق وجودهُ في بعض الاماكن من الاسمدة الطبيعية بل صار عملاً صناعيًّا متوقفاً على ما تصنعهُ المعامل

القطن ونقص محصول الفدان

ادّعى بعض الباحثين في الزراعة المصرية ان محصول الفدان من القطن آخذ في النقص المتوالي وخافوا ان يأتي زمن لا يعود محصول الفدان يفي بنفقات زرعهِ . ولا شبهة في انهُ وقع شيء من النقص ولكنهُ غير مطّرد ولا هو مما يدعو الى الخوف الشديد ولا هو مقصور

على القطن ولا على القطر المصري ولكن يظهر انهُ يشمل كل انواع الزراعة اذا اتسع نطاقها في بلاد من البلدان سريعاً كما حدث في اميركا فان مساحة الارض التي زرعت قطناً فيها سنة ١٩٠٩ زادت ٣٢ في المئة على مساحة الارض التي زرعت قطناً سنة ١٨٩٩ ولكن المحصول لم يزد ١٢ في المئة وكان متوسط محصول الفدان سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ و١٩١٠ و١٩١١ فيها اقل من متوسط محصول الفدان سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨ و١٩٠٠ و١٩٠١ مع شدة الاعتناء هناك بالزراعة

اما متوسط محصول الفدان في القطر المصري فكان في كل من السنوات العشر الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

السنة	مساحة الاطيان المزروعة قطناً	مقدار المحصول	متوسط محصول الفدان
١٩٠٢	١٢٧٥٦٧٧	٥٨٣٨٧٩٠ قنطاراً	٤٫٥٨ قنطاراً
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠	٦٥٠٨٩٤٧ »	٤٫٨٨ »
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٩	٦٣١٣٣٧٠ »	٤٫٣٩ »
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠٢	٥٩٥٩٨٨٣ »	٣٫٨٠ »
١٩٠٦	١٥٠٦٢٩١	٦٩٤٩٣٨٣ »	٤٫٦١ »
١٩٠٧	١٦٠٢٢٢٤	٧٢٣٤٦٧٤ »	٤٫٥١ »
١٩٠٨	١٦٤٠٤١٥	٦٧٥١١٢٥ »	٤٫١٢ »
١٩٠٩	١٥٩٧٠٥٥	٥٠٠٠٧٣٧ »	٣٫١٣ »
١٩١٠	١٦٤٢٦١٠	٧٥٠٥٠٧٢ »	٤٫٥٧ »
١٩١١	١٧١١٢٤٠	٧٣٨٦٣٢٨ »	٤٫٣١ »

والذي نقص متوسطهُ حقيقةً نقصاً يعتدُّ بهِ هو موسم سنة ١٩٠٩ وسبب نقصهِ معلوم وهو فتك دودة القطن حينئذٍ فتكاً ذريعاً فانها فعلت تلك السنة اشد مما فعلت في غيرها من السنين وكذلك سنة ١٩٠٥ فان فتك الدودة كان شديداً فيها . فاذا اعتبرنا ذلك ظهر لنا ان خصب الارض لم يقلَّ عما كان منذ عشر سنوات قأة يعتدُّ بها . وقد كان متوسط محصول الفدان ٥٫٦٠ سنة ١٨٩٦ و٥٫٨٠ سنة ١٨٩٧ ولكن لا دليل على ضبط المساحة حينئذٍ بل لا يبعد انها كانت اقل من الحقيقة بنحو مئة الف فدان لانها زادت فجأةً سنة ١٩٠٠ نحو ثمانين الف فدان لغير سبب معلوم يدعو الى هذه الزيادة . وعليهِ فمتوسط محصول الفدان من القطن في القطر المصري يكاد يكون واحداً منذ نحو ١٥ سنة الى الآن

﴿ مغازل القطن ومتأخراته ﴾

تقرير قلم احصاء اتحاد غزالي القطن

مرصود لاول مارس سنة ١٩١٣

	مغازل تقدير مغازل القطن	مخزونات في المعامل				
		اميركي	هندي	مصري	مختلف	مجموع
انكلترا	٥٥٥٧٦١٠٨	٢٢٦٠٢٤	٨٥٢٧	١٣٦٣٩٩	٢٢٦٨٧	٤١٤٢٦٧
المانيا	١٠٩٢٠٤٢٦	٢٦٤٨٨٢	٤٧١٥٣	٢٧٨٠٠	٢٠٤٤٦	٢٧٠٢٨٠
روسيا	٨٩٥٠٠٠٠	٦١١٣٦	٥٧٨١	١٦٣٣٢	٤١٠٤١٠	٤١٨٦٥٩
فرنسا	٧٤٠٠٠٠٠	١٢٧٧٨٦	٢٥٤٦٧	٢٢٨٢٢	١٣٢٨٦	١٩٩٣٦٤
الهند	٦٤٠٠٠٠٠	٢٢٦٢٠	٢٧٤٢٢٧	٢٢٢	٥١٢١٠	٣٤١٤٠٠
النمسا	٤٨٦٤٤٥٣	١٢٥٢٦٠	٣١١٠٠	٨٢٧١	٢٢٧٣	١٧٤٠٦٤
ايطاليا	٤٥٨٠٠٠٠	١٩٢٢٤	٢٤١١٧	٤٧٢١	٧٥٧١	١٢٥٨٢١
اسبانيا	٢٢٠٠٠٠٠	٤٨٤٥٢	١١٤٧٢	٢١٨٥	١١٨٢٤	٧٤٧٤٤
اليابان	٢٢٥٠٠٠٠	٨٠٨٤٠	١٤٠٥٦٤	٤٨٨٨	٣٥٥٣٥	٣٦٦٨٥٧
سويسرا	١٣٦٨٠٦٢	١٠٠٣١	١٢١٣٣	١٣٠٣٢	٧٢٧	٢١١٠١
بلجيكا	١٤٦٨٨٣٨	٤٧٥١٠	٢٢٠٥٣	٢٤١	١١٥٩	٨١٩٦٣
اسوج	٥٢٩٧٧٣	٣١١٠٨	٩١٥	٢٨	٢٦١	٢٢٩٦٤
البورتغال	٤٨٣٠٠٠	٢١٥٠	٥٠	٢٠٠	١٢٠٠	٣٦٠٠
هولندا	٤٧٠٩٥٦	١١٨٢	٢٦٦٢	١٤٦	٢٠٥٧	١٥٨٥٥
الدانمارك	٨٦٨٣٦	١٣١٣	—	—	٢٢٢	١٥٤٤
نروج	٧٤٥٦٤	٢١٦٧	٢٦٦	—	٣١	٢٥٦٤
الولايات المتحدة	٣٠٥٧٦٠٠٠	١٩٥٨٠٠٠	—	؟	—	١٩٥٨٠٠٠
كندا	٨٥٥٢٩٣	٤٧١٢٠	—	—	—	٤٧١٢٠
المكسيك والبرازيل	٢١٠٠٠٠٠	١٢١٩	—	٢٢١	٤٢١٨٨	٤٣٦٢٨
المجموع	١٤٢١٨٦٣٠٨	٢٢٦٧٩٦٣	٦٠٧١٩٧	٢٤٧٨٤١	٦٤٦٥٣٥	٤٧٦٩٥٣٥
اول مارس ١٩١٢	١٣٩٢١٣٨٧٠	٢٨١٥٩٤٢	٥٢٤٥٤٣	٢١٠٦٢٥	٦٢٩٦٣٢	٤٢٠٠٤١٢
» » ١٩١١	١٣٥٥٩٦٧٢٤	٢٥٦٥٥٠٠	٧٠٧٧١٧	٢٠٥٢٤٧	٥٨٢٢٢٦	٤٠٦٠٧٤٠

نقل البصير الجدول السابق عن اتحاد غزالي القطن وقد ذُكر فيه عدد المغازل العاملة الآن في معامل القطن في الدنيا ومقدار المخزون من اصناف القطن حتى آخر مارس الماضي

و يظهر منهُ ان عدد المغازل قد زاد كثيراً عمَّا كان في العام الماضي والذي قبلهُ وهذه الزيادة تدلُّ على زيادة المقطوعية · واذا لم يزد محصول القطن الاميركي والهندي هذه السنة زيادة كبيرة فلا بدَّ من ارتفاع سعر القطن ايضاً ولاسيَّما اذا عقد الصلح بين الحكومة العثمانية وحكومات البلقان وزال الخوف من نشوب حرب عمومية

باب تدبير المنزل

قد فهمنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صغر القدم وضيق الفلك

قال احد الكتَّاب الاميركيين لو صرفنا قليلاً من العناية الى تقوية اولادنا من بعض الوجوه لقمنا لهم وللامة التي تتألف منهم بخدمة جليلة · فقد بيَّن بعض العلماء ان صغر الفلك وعدم انتظام الاسنان ناشئان عن عدم ترويض الاسنان على العمل الذي اوجدتها الطبيعة من اجلهِ وهو مضغ الاطعمة التي يصعب مضغها · وقد امسى تركيب الاسنان الكيماوي ناقصاً بسبب ذلك واختل انتظامها في الفم حتى قلَّ ان يتوسط انسان في السن وتبقى اسنانهُ كاملة (٣٢ سناً) وحتى صار اطباء الاسنان يفرحون اذا عثروا على رجل في فمهِ ٣٢ سناً كأنهُ امر نادر · ويفرح مثل ذلك الطبيب المختص بمعالجة الاقدام اذا رأى انساناً مكتمل النمو ولم تزل قدمهُ على هيئتها الطبيعية

ولا يحاكي الفلك في كثرة ما يجنى عليهِ بتحويلهِ عن هيئتهِ الطبيعية الاَّ القدم · نغرس في عقول اولادنا احتقار اهل الصين لانهم يحبسون اقدام البنات لكي لا تنمو ثم نلبس بناتنا احذية ضيقة تضغط على القدم وتطوي على كعاب من النوعين المعروفين بالكعاب الفرنسوية والكعاب الكيوبية · فنحن والصينيون سواء في ذلك وان كنا لم ندرك شأوهم

وربما كانت الاسباب التي تدعو الصينيين الى حبس اقدام البنات اوجه من الاسباب التي تدفع الغربيين الى ذلك · ففي الصين يصعب على المرأة الشريفة ان تتزوج رجلاً يليق بها اذا كان قدماها طبيعيتين كاقدام النساء اللواتي يتعاطين الاعمال اكثر مما يصعب على

بناتنا ان يتزوجن بمن يليق بهن اذا كانت خصورهن طبيعية . واذا خرجت المرأة الصينية التي من الطبقة الراقية احاطت بها جوارٍ بها يسندنها من كل جهة ليظهر للناس انها لا تقدر على المشي وحدها . هذا هو السبب الذي من اجله حُبس قدماها وهو اكبر دليل على انها سيدة رفيعة الشان تليق ان تكون زوجة لرجل شريف

ولم يقصر الصينيون عن الصينيات في هذا المضمار فان الخطير الشان منهم يطلق اظفار اصابعه حتى تبلغ من الطول ما يصعب علينا التصديق به ثم يقي كلاً منها بغمد ربما كان من العاج او الخشب الثمين لئلا تفقد او تنكسر فتظهر اصابعهُ جمعاء كاصابع الذين يتعاطون الاعمال . اما الاميركيات فلا يهمهن ان يبرهن لمن يراهن انهن لا يقدرن على المشي كالصينيات ولكنهن حريصات على ان يظهرن بمظهر الرشاقة والمياقة ومجاراة الذوق العصري . ومع ذلك تُخذ اقدام البالغات منهن من الاشكال والهيئات غير الطبيعية ما لا يحصى

نشتري الاحذية اصغر من اقدامنا ونسبي انهُ يلزم لاقدامنا فسحة لتنفرش اذا ملنا بثقلنا عليها كما تنفرش اقدام الحيوان عند ما يقوم عليها . ولا ادري كيف قام في عقول الناس ان اقدامنا يجب ان تكون اصغر مما هي بالنسبة الى اعضائنا الاخرى ولا اعرف احداً بيّن سبب ذلك . وقد تغنى الشعراء بمدح الاقدام الصغيرة كما نوّه الخطباء بذكرها وحرص المصورون على تصويرها . اما الحقيقة فهي ان اقدام المتمدنين منا اصغر مما يجب ان تكون بالنسبة الى كبر اجسامهم وثقلها . وهذا الصغر ناشئ عن عدم ترويضها وحبسها في الاحذية الضيقة من يوم يكون الولد صغيراً الى ان يكبر . وليس هذا كل المصيبة فاننا نلبس في الثالب احذية ضيقة دقيقة الرأس تضغط على اصابع الرجل مما اخشى معهُ ان نمسي اخيراً من الحيوانات ذوات الاصبع الواحدة لاننا نطلق ابهام الرجل ونضغط اصابعها الاخرى . ونتيجة هذا الضغط تقهقر الاصابع الصغرى ووقوف نموها او انفتالها وتراكبها بعضها على بعض حتى يصير الانسان لا يقدر ان يقف على قدميهِ وقتاً طويلاً فضلاً عن انهُ لا يستطيع المشي لشدة الالم

ويحدث تراكب الاصابع اذا لبس الانسان الحذاء الضيق بعد ان تكبر اصابعهُ . وليس في اميركا ولا في الصين رجل او امرأة على جانب من الظرف والكياسة يقدر ان يترك اصابع رجليهِ تنفرش على ما شاءت لها الطبيعة . ولكن لبس الاحذية الضيقة يبدأ غالباً حينما تكون القدمان طريتين فيقف نمو الاصابع ولا يبقى منها الا نتوات صغيرة . وقد كانت الاصبع الثانية في اقدام الناس قبل ان لبسوا الاحذية الضيقة أطول من الابهام والثالثة مثل الابهام

في خطوها والرابعة والخامسة خاليتين من المسامير تنبسطان على الارض وتتمكنان منها جيداً عند المشي . والامر الاخير مهم جداً فان اصابع القدم يجب ان تنبسط على الارض عند ما تميل عليها في المشي كما تنبسط اصابع الحيوان

ويجب ان يكون في الحذاء مجال كاف للاصابع لكي تنبسط واذا ضيق عليها صعب المشي على الانسان . اما الكعاب العالية فتأتي بالضرر وتتعب في المشي ولا تزيد منظر القدم جمالاً بل بالعكس من ذلك تشوه شكلها الا ان فعلها في ذلك اقل من فعل التضييق على الاصابع . وعلينا ان نرفق باقدامنا فانها اتقن اعضاء اجسامنا بناء بعد ايدينا

وارتحت اقدام كثيرين باعمال ترويضها فاخذ صانعو الاحذية يضعون فيها اقواساً من الحديد لتدعم الخمص القدم وتبقي حيثيتهُ على ما يجب ان تكون . ومثلنا في ذلك مثل من اراد تقوية يد انسان فارتأى ان يحوطها بالقضبان و يحكم ربطها حتى تبقى مرفوعة لا تتحرك . ولا يسع صانع الاحذية الا ان يضحك من مخافة هذا الرأي ولكنهُ يفعل ذلك حينما يضع اقواس الحديد تحت الخمص القدم في الحذاء و يدعي انهُ يقوي القدم بمنعها من اتمام وظيفتها وحرمانها الرياضة التي تقويها . ويجب ان تنفرش قدم الانسان وتنبسط قومها قليلاً كلما مال عليها بثقله في المشي . ولتخيل عليهِ انهُ يمشي مسافة طويلة وفي حذائيهِ اقواس حديد تدعم قدميهِ . وهذه الاقواس مثل كل ما يستخدمهُ الانسان لتغيير وضع جسمهِ الطبيعي تسبب لهُ المًا شديداً خصوصاً اذا اضطر ان يمشي مسافة طويلة . اما اذا امتنع عن المشي او لم يمشِ الا قليلاً امكنهُ الصبر على هذه الاقواس كما تصبر النساء على الكعاب العالية . فكأن اكثر احذيتنا لم تصنع للمشي بل لكي تجليها الانظار او لكي يلبسها اصحابها عندما يركبون المركبات او يمتطون الجياد

عرفت تاجراً باع رجلاً حذائين فلم يلبث هذا ان عاد بعد ايام قليلة وقد تمزق حذاءاهُ فاظهر التاجر عجبهُ من سداجتهِ قائلاً انك مشيت بهما وهما ليسا للمشي بل للركوب . وكنا مررت بامرأة تمشي بحذائين لا يسعان قدميها ولها كعبان عاليان تذكرت تلك القصة . واذا نظرت الى امرأة عرفت من مشيتها هل حذاءاها يلائمان قدميها او لا . فالمرأة التي لا تضغط على قدميها بحذائين ضيقين تمشي في مشيتها الرشاقة والخفة اللتان تميزان اجمل مخلوقات الله

وانا من المولعين بالمشي وقد رأيت بالاختبار انهُ يجب على الانسان ان يعمل على تقوية قدميهِ وان يسمح لهما بالنمو اكثر مما يسمح لهما الآن . وكل من الاصابع العشر التي في القدمين يجب ان يتوالى ان يكتمل نموهُ وان يتمكن من الارض ويحمل قسماً من الضغط الذي يصيب

القدم عند ما نمشي او نعدو او نثب

والقدم الطبيعية اشبه بجبهة قائمة على العقب وصدر القدم الذين يصيبان الارض ويجب ان يكون هذان الطرفان على مستوى واحد فلا يجوز جعل كعب الحذاء اعلى من نعله باكثر من نصف عقدة . ويجب ان يكون الكعب عريضاً مثل النعل عند معظم عرضه وان يكون الحذاء اطول من القدم واوسع منها

وكما ان الفك يقفل فوه فيكون ذلك الوقوف سبباً لانسداد الخياشيم وتحول التنفس الى الفم وسوء الهضم وضعف قوة التمثيل بما يترتب عليه من ضعف الاسنان وعدم انتظامها ومن قلة الاكسجين الداخل الى الجسم كذلك يضر بالاقدام اهمال ترويضها وعدم السماح لها بان تنمو النمو الطبيعي . ثم اننا لا نقتصر على ذلك بل نضيف اليه وضع الاقواس في الاحذية فتزيد اقدامنا ضعفاً ونعلي الكعاب متوهمين ان علوها يحفظ هيئة القدم

واذا ارتخت القدم فانبسطت قوسها كما تنبسط عند المشي ولم تعد الى وضعها الاصلي وجب دعمها بالاقواس الى حين . ولكن يجب ان تبذل العناية في سبيل تقويتها بالتعدو والمشي على اصابع الرجلين حفاء وذلك الفضلات التي في مؤخر الرجل ومعالجتها وتقوية الجسم عموماً

وارتخاء قوس القدم دليل على ضعف الجسم عموماً ويجب ان لا يقتصر في معالجتها على اصلاح هيئة القدم وحدهُ بل تجب العناية بتقوية الجسم كلهِ

ولا يتحقق لنا ما نريد من الكمال في اولادنا الاَّ اذا اطعنا نواميس الطبيعة وتركنا اقدامهم وافواههم تنمو على ما رسمت لها الطبيعة ان تنمو

ترياق السموم

(تابع ما قبلهُ)

الحامض الكبريتيك : درهم واحد منهُ يميت ويستعمل لهُ ما يستعمل للحامض النيتريك

اليود : يختلف فعلهُ باختلاف الاحوال ولكن ثلاث قمحات منهُ تميت عادة ولهُ طعم حامض وينتج عنهُ تصلّب حول الحلق وقيء ويجب اهاجة القيء واعطاء المسموم مقادير كبيرة من الاروروط والنشا

الاثير : يدخل الصدر مع التنفس واعراضهُ تشبه الاعراض التي تنتج عن الكلوروفورم وينفع فيهِ صب الماء البارد واعادة التنفس صناعياً

الحامض البيروهيدروسيانيك : ثلاث قحات منهُ تقتل الكلب واعراض التسمم بهِ كاعراض التسمم بالفصفور ولم يعرف لهُ ترياق خصوصي انما يجب اعاجة التي ء خالاً

الحامض الكروميك والكروماتات والادهان التي يدخل الكروم في تركيبها ومركبات النحاس والانتيمون والزئبق والزنك : ينجع فيها استعمال البيض بكثرة واعاجة التي ء بالطردل . اما اذا كان سبب التسمم الطرطير المتي ء فلا ينفع الطردل

الحامض الهيدروسيانيك (البروسيك) واملاحهُ وسيانيد البوتاسا وسيانيد الزئبق والكبريتوسيانيد وزيت اللوز المر والنيتروبنزين : ينجع فيها صب الماء البارد على رأس المسموم او على ظهرهِ فوق الحبل الشوكي ووضع ضمادات الطردل على الخصي قدميهِ وتحت معدتهِ ويجب ان لا يترك المسموم ليغفي

الايثر والبترول والبنزول وارواح الانثار والكحول : ينجع فيها اعاجة التي ء بالطردل مع الماء الساخن والحمام البارد والهواء النقي . ويجب ان لا يغفي المسموم

مركبات الباريتا او الرصاص : يعطى المسموم خردلاً مع مقدار كبير من الماء الساخن او مذوب الملح الانكليزي او ملح الطرطير

الزرنيخ والزنك والافيون والدجتال والزئبق والستركنين يعطى المسموم بها مذوب مئة جزء من كبريتات الحديد في ٨٠٠ جزء من الماء بعد ان يذاب فيهِ ٨٨ جزءًا من المغنيسيا يجرعات كل منها كاس شرب عادية

ويقال بنوع عام ان كل من رأى مسمومًا ان يبادرهُ اولاً بمي ثم يأتيهِ بالترياق الذي ينجع في ذلك السم الذي تناولهُ . ويجب ان لا يغفل عن حفظ قيء المسموم اذا اشتبه ان السم دُسَّ لهُ عمداً

واجبات النساء وحقوق الانتخاب

كتبت كونتة جرزي تعترض على اعطاء حق الانتخاب للنساء في بلاد الانكليز ومما قالتهُ في هذا الصدد ان النساء اذا قمن بما هو مفروض عليهن لم يستطعن ان يتفرغن للاهتمام بالامور السياسية تفرغًا يجيز لهن ان ينتخبن الاعضاء لمجلس النواب واذا اجيز الانتخاب لكل البالغات منهن زاد عدد المنتخبات مليونًا الى مليون ونصف على عدد المنتخبين . واذا اعطي النساء حق الانتخاب وثبت بالامتحان ان ذلك غير صالح تعذَّر نزع هذا الحق منهن

الزوجة وضمانة الحياة

توفي بالامس رجل من موظفي الحكومة راتبهُ كبير يبلغ نحو الف جنيه في السنة وهو يعيش على مقتدار ٍ اي انهُ لا يقتصد منهُ غير ما تقطعهُ الحكومة لتعطية اياهُ معاشاً . فما يكون حال زوجتهِ واولادهِ بعد وفاتهِ وليس لهم ما يعتمدون عليهِ غير المعاش القليل الذي تعطيهم اياهُ الحكومة . لقد كان على ذلك الرجل ان يحسب حساب الموت ويوفر جانباً من دخلهِ لكي لا تحل الفاقة بزوجتهِ واولادهِ لكنهُ لم يفعل فكانت العاقبة وخيمة عليهم الى ان شبَّ اولادهُ وتعاطوا اعمالاً تقوم بمعيشتهم

وقد اهتدى الناس الى وسيلة لا افضل منها لدفع الضيم عن عيال الذين يموتون باكراً وهي شركات ضمانة الحياة او سوكرتاه الحياة التي يدفع اليها كل احد من المشتركين فيها جانباً من دخلهِ فتتعهد لهُ بدفع مبلغ معلوم لزوجتهِ واولادهِ عند وفاتهِ فاذا عمَّر طويلاً حتى صار اولادهُ في غنىً عنهُ فالغالب ان المبالغ التي يكون قد دفعها الى الشركة تزيد عمَّا تدفعهُ الشركة الى ورثتهِ ولكن هذه الزيادة تذهب الى ورثة الذين يموتون باكراً لان الشركة تتعهد للمشترك فيها ان تدفع لورثتهِ المبلغ المتفق عليهِ سواء عمَّر طويلاً او مات في اليوم التالي لامضاء العقد

وكثيراً ما يكون الضمان لسنين محدودة فيدفع المرءُ في سني الشباب والكهولة ما يستردهُ في زمن الشيخوخة او يكون على اسلوب آخر . وكل الاساليب التي تجري عليها شركات ضمانة الحياة تأول الى اخذ بعض المال من الذين يعمرون طويلاً واعطائهِ لورثة الذين يموتون باكراً . وهي اذا كان مديروها من الرجال الامناء البارعين في تثمير الاموال خير ما استنبطهُ البشر لازالة المضار الناتجة عن الموت الباكر . وخير ما تفعلهُ كل زوجة ان تطلب من زوجها ان يسوكر حياتهُ عند اول اقترانهِ بها فانها اذا فعلت ذلك ووفَّرت من نفقاتها اليومية ما يجب دفعهُ سنوياً لشركة الضمان امنت الفاقة اذا توفي زوجها واولادها صغارٌ وليس لها ولهم ما يقوم بنفقاتهم

طعام المريض

لطعام المريض اهمية لا تقل عن اهمية الدواء الذي يوصف لهُ . وكثيراً ما يعين الطبيب نوع الطعام ومقدارهُ واوقات تناولهِ . ويجب ان يعتني كثيراً بتحضيرهِ فقد يقع

من القائم على امر الطعام اهمال قليل فيخبر على المريض اوخم العواقب كما يحدث احياناً للمرضى بالحمى التيفوئيدية

ولا يجوز تحضير الطعام في غرفة المريض بل يجب ان يحضَّر في غرفة اخرى ان كان بسيطاً كتسخين اللبن مثلاً اما اذا كان يقتضي طبخاً وتعليلاً اكثر من ذلك فيجب اعداده في المطبخ . وقد يتفق ان لا يحسن الطباخ اعداد الاطعمة للمرضى فيجب على ربة البيت في مثل هذه الحال ان تقوم على ذلك بنفسها وهذا يستلزم معرفة سابقة يجب ان تتعلمها البنت في بيت ابيها . ولا شيء يحمل الخدم على اتقان ما يعملونهُ مثل معرفتهم بان مولاتهم تجيد العمل اكثر منهم . ويجب ان يحضَّر طعام المريض على طريقة تجعلهُ طيب الطعم يشهى من ينظر اليهِ شهوة الاكل

واللبن (الحليب) من افضل الاطعمة للمرضى ويستحسن ان يسخن بتغطيس الاناء الذي يكون فيهِ في الماء الغالي ثم يترك حتى يبرد . وكثيراً ما تتلبَّك معدة المريض اذا تناول اللبن وحدهُ ويجتنب ذلك باضافة قليل من الصودا او من ماء الكلس الى اللبن قبل تناولهِ . ويؤخذ اللبن بكميات قليلة لانهُ اذا كثر في المعدة تجبَّن وبكها . ولا بأس باعطاء المشهيات اذا سمح بها الطبيب

ولا يجوز ان يترك اللبن مكشوفاً في غرفة المريض لانهُ يمتص الروائح مهما كان نوعها وان قدم قليلاً او طرأ عليهِ اقل تغيّر لم يعد صالحاً للريض واذا كان المرض ثقيلاً وجب كيل اللبن كما يكال الدواء . ويجدر بالممرضة ان تقتني مفكرة تدون فيها وصايا الطبيب ومقدار الطعام الذي تقدمهُ للريض ووقت تقديمهِ وهذه المفكرة ضرورية اذا قام على العناية بالمريض ممرضتان تتناوبانها

وتنفع القشدة في كثير من الامراض المزمنة وهي من انواع الدهن القليلة التي يجوز للمرضى تناولها . ويجب ان لا يحتوي طعام المريض على شيء من الدهن الا في احوال خصوصية . ومن انواع الدهن السهلة الهضم ايضاً زيت السمك وهضمهُ اسهل من هضم القشدة واذا اضيفت القشدة الى الشوربا الخفيفة كان من ذلك طعام خفيف اصلح من غيره للذين يصيبهم سوء الهضم

والاطعمة التي تقدم لمن تثقل عليهِ وطأة المرض تختلف كثيراً عن الاطعمة التي تقدم لهُ في دور النقه . ففي الحالة الاولى يطعم الاطعمة المحلوبة على خواص الدقيق كالارورووط واللبن وغيرهما وفي الحالة الثانية يطعم الاطعمة اللحمية كالسمك ولحم الطير مع بعض الاطعمة من

النوع الاول . ويجب ان يهتم بجعل الاطعمة شهية طيبة الطعم يهيج منظرها شهوة الاكل كما تقدم ويتم ذلك باجادة الطبخ والتدقيق في النظافة وتزيين الطعام بتقديمه في آنية نظيفة مرتبة ووضع الازهار الى جنب الصحون اذا كان المريض مولعاً بها . ولا يُسأل المريض عمّا يريد اكلهُ من الاطعمة بل يجب ان يعدّ الطعام ويقدم لهُ من دون اعلامهِ بذلك . واكثار الطعام عليهِ مما يجعلهُ يعاف الاكل

ويفضل من الاطعمة الجامدة اذا اشار بها الطبيب السمك ولحم الطير ولحم الضان الرخص . اما لحم البقر والحموم الدهنية فلا يجوز اطعامها للريض . واذا اجيز للريض اكل الخضر يطعم الهليون والقنبيط والسباغ بعد ان تسلق . ولا بأس بقليل من الحلوى اذا كانت خفيفة

وان تعذّر الحصول على الثلج في الحمى يعطى المريض ملعقة صغيرة من الماء البارد فيرتاح الى ذلك كثيراً وفي شربهِ الجرعات الكبيرة من الماء البارد ضرر كبير . اما الجرعات المعتدلة من الماء العادي فمثل الثلج في انها لا تضر

باب التقريظ والانتقاد

الصحافة العربية

سفر جليل كثير الفوائد وضعهُ حضرة الفيكونت فيليب دي طرازه وقد صدر منهُ الآن الجزء الاول وفيهِ تاريخ الصحافة بنوع عام والصحافة العربية بنوع خاص ومما ذكرهُ في هذا الشأن ان اول من استعمل كلمة صحيفة هو الكونت رُشَيد الدحداح صاحب برجيس باريس واول من اختار كلمة جريدة هو مناظرهُ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب

ولمؤلف عناية خاصة بجمع الصحف العربية والاطلاع على ما فيها فقد قال ان عندهُ منها ١٢٠٠ من الجرائد والمجلات . والظاهر انهُ لم تصدر جريدة عربية الاَّ وعندهُ نسخة منها . وقد ذكر في هذا الجزء ترجمات كثيرين من منشئي الجرائد والمجلات والمحررين فيها وناشر رسومهم ولم يقتصر على ابناء العرب منهم بل ذكر الاوربيين الذين كان لهم شأن في الصحافة العربية كتبولبون الذي نشرت في عهدهِ جريدة الحوادث اليومية باللغة العربية وكان يحررها اسميل بن سعد الخشاب وفي جدة الصحف العربية . والملك لويس فيليب ملك

فرنسا الذي انشئت في عهده صحيفة المبشر سنة ١٨٤٧ باللغتين العربية والفرنسية لعموم ولاية الجزائر في المغرب الاوسط. والدكتور عالي سمث الاميركي الذي انشأ باكورة المجلات العربية سنة ١٨٥٥ وهي مجموع فوائد

وقد رأينا في الصفحة ١٣٤ من هذا الجزء ان الجمعية السورية العلمية تجدّدت باسم المجمع العلمي الشرقي نحو سنة ١٨٨٠ . والذي نعلمهُ اننا نحن انشأنا المجمع العلمي الشرقي ولم يخطر ببالنا قط تجديد الجمعية السورية العلمية وكان معنا الدكتور وليم ڤان ديك والاميرالاي الدكتور سليم موصلي ثم ضممنا اليها غيرنا من الاعضاء وكان ذلك سنة ١٨٨٢

وفي هذا الجزء ١٥٤ صفحة كبيرة جامعة لاشتات الفوائد فنثني على همة المؤلف الفاضل ونتمنى لهُ النجاح في اتمام هذا السفر المفيد

تحسين المصرف في الوجه البحري

رسالة وضعها صاحب السعادة موسى غالب باشا احد مهندسي الري سابقاً انتقد فيها المشروع الذي اشارت بهِ نظارة الاشغال حديثاً لتحسين المصرف في الوجه البحري فقال ان النفقات السنوية اللازمة لآلات الصرف تبلغ نحو ٤٠٠ الف جنيه عدا المصارف الاولية اللازمة لتنفيذ هذا المشروع من ثمن الآلات وتركيبها وتعميق المصارف وترسيمها مما لا يقل عن سبعة ملايين من الجنيهات ويمكن الاستغناء عن هذا المشروع بمشروع آخر وهو اصلاح المصارف حتى تبقى المياه منحفضة فيها متراً عن ارض الزراعة ووضع الطلمبات على البحيرات التي تصبُّ فيها المصارف الآن حتى ترفع المياه الزائدة منها وتصبها في البحر . وقال ان اصلاحهُ هذا يجعل اقتصاداً في النفقات اللازمة لاصلاح الصرف لا يقل عن خمسين في المئة وبهِ تنكشف مساحة عظيمة من الاراضي المغمورة الآن بمياه البحيرات حتى يمكن ان يعد منها للزراعة نحو مئة الف فدان الى مئة وخمسين الفاً بعد ان تزرع الاراضي البور التي في جهة البراري . وليس فيهِ خطر من تعطُّل احدى آلات الصرف ووقوفها عن العمل بضعة ايام كما يحدث لو كانت الآلات مركبة على المصارف نفسها لان تعطُّل هذه قد يتلف الاطيان المجاورة لها في اقل من ساعة . وسنعود الى هذه الرسالة البديعة ونفصّل ما فيها

نشوء الاجتماع

تأليف بنيامين كد وتعريب محمد زكي صالح

قرأنا هذا الكتاب في اصلهِ الانكليزي حينما صدر منذ بضع عشرة سنة والنسخة التي

قرأناها تقع في ٣٧٤ صفحة ولو ترجمت ترجمة يحتفظ فيها بكل معاني المؤلف لوقعت الترجمة في ستمئة صفحة من مثل صفحات الكتاب الذي امامنا الآن ولذلك فالمترجم اكتفى بالتلخيص وحبذا لو احتفظ بكل معاني المؤلف او لو اختار كتاباً اسهل ترجمة من هذا الكتاب واوفق منهُ بحاجة ابناء العربية

من امير الى سلطان

هو كتاب رفعهُ مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وقد ترجمهُ الى العربية صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية. والكتاب حافل بالنصائح والحكم كقولهِ نحن في عصر لا سؤدد فيهِ الا لمن كبُر عقلهُ وكثر علمهُ . الحرية اول مربٍّ للامم في تخلق كل مربٍّ عداها وما من مربٍّ يسدُّ مسدها والامم المستعبدة تحتقر العلم لانهُ لا يفيدها وانما ترغب الامم في العلم اذا كان لها من الحقوق ما وثقت منهُ وامنت عليهِ. الحق اولى ان يقال ما منعنا من ان نكون امة جدٍّ مثلهم (اي مثل النصارى) الا طريقة حكمنا فيها بما يتاح للانسان ان يستثمر الانسان لا يستثمر عقلهُ ولا يستغل ارضهُ . الى غير ذلك من جوامع الكلم التي لو انتصحت بها الحكومة العثمانية ما وصلت الى ما وصلت اليهِ

«كتاب في التربية والتعليم » وضعهُ حضرة محمد افندي امين وبحث فيهِ بحثاً انتقادياً في التربية البيتية وطرق التعليم المتبعة في مصر. ويرى ان التعليم يجب ان يكون عملياً اكثر مما هو في الوقت الحاضر ثم يندب حظ مصر لنقص التعليم العالي فيها. ويجدر بمعلمي المدارس ومن يهمهم امر التربية والتعليم ان يطالعوا هذا الكتاب لما فيهِ من الفوائد

« فوائد في تغذية الاطفال » كراس في عشرين صفحة وضعهُ حضرة الدكتور جورج عرفتنجي فيهِ فوائد جمة في كيفية العناية بالاطفال وارضاعهم وتغذيتهم ووقايتهم من العلل التي تطرأ عليهم عادة في الصيف او في الشتاء وما يجب اتخاذهُ من الوسائل اذا أُصيبوا باحد هذه العلل

« مذكرات حي » ضمنهُ حضرة واضعهِ الياس افندي منسى ما عنَّ لهُ من الخواطر في جملة مواضيع اكثرها اجتماعي او اخلاقي . ومن مواضيعهِ « يا يراعي » و« ايها الحب »

و« ايها الضفاف » . واكثر بحثه انتقادي يبين فيه معايب الاجتماع والاخلاق ويقبحها

« الاسعاف الاولي » لحضرة الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى فيلوب يتضمن ارشادات كثيرة الى ما يجب اتخاذهُ من الوسائل في الحوادث التي تقع فجأة وتستلزم بعض العناية قبل وصول الطبيب ككسر العظم والاغماء والغرق وهو مزين برسوم تسهل على القارئ فهم المراد

« الحال والمآل في سياسة ربات الجمال » كتاب لولتر جليكن في نحو ١٥٠ صفحة تدور مباحثهُ على العيشة الزوجية وكيف يتمكن كل من الزوجين من اكتساب ثقة الآخر ورضاهُ . عرّبهُ عن الانكليزية حضرة عطيه افندي حنا صاحب مجلة المنهل

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ويحل اقامتهُ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النشر باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج بمكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ اياهُ فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافر

(١) المحيط

بيروت . ايوب افندي حنا طراد الصيدلاني . قرأت في مقتطف فبراير الماضي جواباً عن سؤال وارد اليكم من المستر كوبلت الاميركي يختص بمسألة التحنيط حسب الطريقة القديمة . وحيث اني توصلت الى اكتشاف هذه الطريقة بعد البحث الطويل وقد اختبرتها في اواسط سنة ١٨٩٣ بتحنيط ولد عمرهُ اربع سنوات وطرح في الشهر السابع ولم يزالا للآن عندي في بيروت بغاية الحفظ رغماً عن تعرضهما للهواء والعوارض الجوية وقد رآهما بعض اطباء بيروت من اجانب ووطنيين وشكروا لي اكتشافي هذا وسلموني شهادات بذلك ولاسباب لم اتمكن من اظهار اكتشافي فارجو نشر كتابي هذا والافادة عن عنوان المستر كوبلت الاميركي لمخابرتهِ في هذا الشأن

ج . ان كوبلت هو اسم البلد الذي جاء

السؤال منهُ والسائل هو الخواجه الياس زغيب كما يظهر لكم من مراجعة المنتطف . والظاهر انهُ سوري من الذين هاجروا الى اميركا ولا بدَّ من ان يطلع على ما ذكرتموهُ هنا

(٣) الازوت والحياة

برازيل الخواجه خليل اسطفان . قال جيجر ان اول الاحياء كان في الماء وتركيبهُ من العناصر المركبة منها الاحياء الحاضرة اي من الكربون والهيدروجين والاكسجين والازوت خاصةً وكذلك الاستاذ هكل صرَّح بهذا حيث قال ان المونير يقول في سائل تكونت فيهِ مركبات ثلاثية ورباعية من الكربون والاكسجين والهيدروجين والازوت وايضاً عُرف بالامتحان ان زلال البيضة مركب من كربون وازوت واكسجين وهيدروجين ومواد اخرى . فيقال للقارىء هنا ان الازوت من لوازم الحياة فكيف توفقون بين ما تقدم وبين ان الازوت سُمّي ازوتاً اي لا حياة لان لا حياة تقوم بهِ

ج . لما عُرف ان الهواء مؤلف من الاكسجين والنيتروجين عرف ايضاً ان احدهما وهو الاكسجين هو المفيد في التنفس وان الثاني لا يفيد اي ان الدم لا يتأكسد بهِ واذا نزع الاكسجين من الهواء وبقي فيهِ النيتروجين لم يعد صالحاً للتنفس فسمي النيتروجين ازوتاً لانهُ لا يصلح للحياة من هذا القبيل وهذا لا ينفي ان يكون النيتروجين عنصراً من العناصر التي يتركب منها جسم الحيوان ومن اهمها . والكربون ايضاً عنصر مهم من عناصر جسم الحيوان ولكن الحيوان لا يتنفسهُ لا صرفاً ولا مركباً ولا يتنفى دمهُ بتنفسهِ . والذي اطلق على النيتروجين اسم الازوت نظر الى الخاصية الاولى وهي انهُ لا يصلح للتنفس

(٤) زوال مياه البحار

ومنهُ . يقولون ان مياه البحار والانهار اخذة في التناقص وستجف ارضنا يوماً ما كما جف القمر فاين تذهب تلك المياه وعلى اي قياس يبنون احكامهم

ج . ان الذين يقولون ذلك يعتمدون في قولهم على انحباس المياه في الاجسام المتبلورة . ربما تذكرون ان النساء يحضّر الشبة البيضاء احياناً في شقفة من الخزف لكي يضمدن منها رشوشاً للعيون وان الشبة تذوب في النار اولاً وتغلي ثم تجمد ويصير سحقها هيناً ولا تعود متبلورة شفافة كما كانت قبلما وضعت على النار وقد غلت لانهُ كان فيها ماء فتبخَّر منها لما سخنت ويقال لهذا الماء ماء التبلور وهو موجود في اكثر المواد المتبلورة . ويظن العلماء ان صخور الارض ستخلُّ مع الزمن ثم تتبلور فتُحبَس فيها مياه الارض كما هي محبوسة في الشبة البيضاء

(٤) تسمية البحر الاحمر

الاسكندرية . محمود افندي يوسف . لماذا يسمَّى بحر القلزم بالبحر الاحمر

ج . لان فيهِ كثيراً من الجزائر المرجانية التي يغلب فيها اللون الاحمر فيظهر البحر بها احياناً كأنهُ احمر الماء او احمر القاع . او لان رمالهُ عند الشاطئ حمراء فيظهر ماؤهُ بها احمر لان الخور المجاورة لهُ حمراء فينعكس نورها عنهُ او لان البلاد المجاورة لهُ هي بلاد ادوم ومعنى ادوم احمر فكأنهُ قيل بحر ادوم او بحر الاحمر وقد كثرت مناقشات العلماء في سبب هذه التسمية وهذه خلاصة المذاهب التي ذهبوا اليها

(٥) تاريخ الاعلام

مصر . سمعان افندي نجار . ما تاريخ الاعلام وهل من دليل على ان قدماء مصر واشور وبابل كانوا يتخذونها شعاراً في حروبهم

ج . ان تاريخها متوغل في القدم لان الناس استعملوها من قديم الزمان لترشدهم الى محلاتهم او اماكنهم اذا ابعدوا عنها . وفي الآثار المصرية والاشورية والبابلية رسوم انواع مختلفة من الاعلام ويظهر من اشكال الاعلام المصرية وما كتبهُ الكتَّاب عنها انهُ كان لكل فيلق من جيوشهم علم خاصٌّ بهِ وكانت اعلامهم تمثل احياناً صور معبوداتهم كأنها تماثيل يحملونها لحمايتهم او لنصرتهم . وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

(٦) الشيب من الخوف

ومنهُ . ذابلت شاباً فعجبت لرؤيتي شعر رأسهِ وقد نبت فيهِ الشيب فلما استطلتهُ عن السبب في ذلك قال انهُ ذعر لوقوعهِ بين سيارتين فما علاقة الذعر بشعر الرأس وما تأثيرهُ فيهِ

ج . لم يذكر العلماء تعليلاً معقولاً حتى الآن في ما نعلم ولكن ثبت حديثاً ان الشيب يحدث من وجود انواع من الخلايا الحيوية التي تأكل المواد الملونة للشعر ولذلك نرجح ان الخوف يدفع المادة الملونة من الشعر الى حيث تصل اليها الخلايا التي تأكلها كما يحدث في صوف بعض الحيوانات الذي يبيض في الشتاء

(٧) ضعف الاضراس

طنطا . اسكندر افندي ميخائيل . ان كثيرين من الناس يكتفون عند المضغ باثنين من القواطع (الاضراس) فما سبب ذلك وما هو العلاج الناجع حتى يمكن استعمال الاثنين الآخرين

ج . لا نرى وجهاً لتفسيركم القواطع بالاضراس فان القواطع هي الاسنان الامامية اي الثنايا . وسؤالكم مرجه الى الاضراس . وسبب عدم استعمال بعضها ان فك المتمدنين قد ضاق لقلة استعماله . والاضراس ١٢ ستة في الفك الاعلى وستة في الاسفل . ولضيق الفكين لم يبقَ المجال كافياً لنمو الاضراس الاربعة الاخيرة المعروفة باضراس الحكمة فاما انها لا تظهر او تظهر ولا تستعمل فتقع باكراً وقد يقل استعمال الاضراس الاربعة التي تليها والسبب الاكبر في ذلك

كلهِ اعشاب المتمدين المآكل السائلة والمطبوخة التي لا تحتاج الى مضغ كثير. وكل عضو لا يستعمل يستغنى عنهُ فيضعف ويزول . ولا يمكن علاج ذلك الآن في الذين حدث فيهم لانهُ صار خلقيًّا ولكن يحسن بكل احد ان يمضغ طعامهُ جيداً فلا تضعف اسنانهُ لقلة استعمالها ولا تفقد باكراً

(٨) عدد اللغات

سير بتو سانطو. الخواجه جبور جبور.

كم عدد اللغات في العالم

ج . نحو ٢٧٥ لغة

(٩) الحروف الافرنجية في العربية

ومنهُ . اي لغة من اللغات الافرنجية يستعمل كتَّاب العربية حينما يوردون بعض كلمات افرنجية في مقالاتهم

ج . الغالب انهم يستعملون اللغة التي ينقلون عنها او يترجمون منها ولكنهم يقتصرون على الحروف اللاتينية او اليونانية

باب الاخبار العلمية

تكريم شاعر

شهدنا في الرابع والعشرين من هذا الشهر (ابريل) احتفالاً نادر المثال في نادي الجامعة المصرية تبارى فيهِ الشعراء في تهنئة الشاعر النابغة خليل افندي مطران باكرام الجناب الخديوي لهُ اذ قلدهُ وساماً من اوسمة الشرف. فافتتح الاحتفال دولة الامير محمد علي باشا بالخطبة التالية وهي

ايها السادة والسيدات

ايها السيدات اني ارجو كنَّ عدم المؤاخذة والسماح بتوجيه خطابي للرجال فبكنَّ في خطبتي فمع احترامي لمقامكنَّ اعترف اني شرقي واحب ان احافظ على عوائدنا وقوانيننا المحبوبة

ايها السادة

يسرني ان ارأس حفلة ادبية لتهنئة شاعر مجيد لهُ في مصر والشام اصدقاء كثيرون يقدرونهُ حق قدرهِ

ولقد سمعت منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت وهو حضرة خليل افندي مطران فابتهجت بما وصل اليَّ من افكارهِ السديدة التي تنبئ عما هو عليهِ من علو في الهمة وثبات في الرأي ووفور في العلم

ولم يكن اعجابي بهِ لما اوتيهُ من المواهب الجليلة في دور العلم فقط بل لما تحلى بهِ ايضاً

من الاخلاق الكريمة التي تحملهُ دائماً على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بينهُ وبين التحقير للغير حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار متأهباً لنيل المجد والفخار

ومن البديهي ان اتصافهُ بهذه الصفات الممدوحة لم يكن الاَّ نتيجة تربية عالية . واني لأعجب كثيراً بالذين يقتنون اشعارهم وخطبهم وكتاباتهم روح الفضائل ويحضون فيها على التمسك بمكارم الاخلاق التي اخذ اربابها في الذهاب شيئاً فشيئاً والأسفاء

فيا حبذا لو حذا حذوهُ سائر الشعراء واهل الافكار وجميع الفضلاء واتبعوا خطتهُ فوجهوا عنايتهم الى بث روح الاخلاق الفاضلة . انهم بذلك يخدمون الفضيلة ويسيرون بافراد الامة في سبيل الرقي والفلاح فيبلغونهم ذرى المجد واوج الكمال . فجدر بكل مجمع ادبي او محفل علمي ان يسعى في نشر الفضائل التي تدور على محورها السعادة بكل معانيها

فيا أيها النبلاء . اذا اردتم ان تكرموا امتكم فحببوها بمكارم الاخلاق واستعملوا مواهبكم وقوة بيانكم في اظهار نتائجها الحسنة

واني ارجو من الله سبحانهُ وتعالى ان يوفقكم ويعينكم على احياء دولة الآداب بما تنشرونهُ من مصوغ دررها التي متصادف بعون الله آذاناً صاغية وقلوباً واعية ليكون لها التأثير القوي المنتظر

ان حياتنا في هذه الدنيا لهي حياة جد وعمل واننا جميعاً مدينون باداء واجبات مقدسة لخدمة الانسانية . والله جل شأنهُ خص كل فرد بمواهب مخصوصة . اذا ترى الاعمال متنوعة بحسب احتياجات الناس . وفي اعتقادي ان القائمين بها على اختلافهم محسنون للهيئة الاجتماعية

وقد وهب الله صديقنا مطران الندي ذكاءً فطرياً فجادت قريحتهُ الوقادة بالاشعار الرقيقة والحكم البليغة الدقيقة فارتقى بذلك الى الدرجة التي نال بها الحظوة عند خديوينا المعظم فيجمل بي ان اشترك في الاحتفال بتكريم ذلك الفاضل الاديب وان ارفع آيات الشكر والامتنان لسمو مليكنا لحسن التفاتهِ لشاعرنا المحبوب

وبهذه المناسبة اهنىء ايضاً شاعرنا الكبير الصميم حافظ بك ابراهيم بما شملهُ الجناب العالي من تعطفاتهِ الكريمة لازيل ما نالني من الاسف لعدم حضوري الحفلة التي اقيمت لهُ في غيابي وان كنت حضرتها بقلبي وادعو الله ان يوفقهُ لاستخدام مداركهِ فيما يعود على الامة بجليل الفوائد وجزيل الفوائد

نعم يحق لنا ان نشجع القائمين بالتهذيب والارشاد الناهجين سبل الحق والسداد فهؤلاء على حسن صنيعهم يشكرون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

اني لا اعتقد الشاعر مجيداً مهما كان يسحر القوم بلسانه ويخلبهم بقوة بيانه ما لم يسلك طريقاً مفيداً للامة فانهُ يستطيع بذلك ان يخدم امتهُ ويرقيها بيث روح الفضائل فيها فيسلك كل منا هذا المنهج القويم والله يهدينا جميعاً الى الصراط المستقيم

وللاسباب التي ابديتها اعدّ ذلك الشاعر العصري الذي نحتفل به من الطبقة الراقية الرفيعة ولهذا اترك لكم ايها الشعراء والخطباء الضابة بايفائهِ حقهُ من التمجيد والتكريم والله يؤتي كل ذي فضل فضلهُ والله ذو الفضل العظيم . انتهى

ولقد كان لهذه الخطبة النفيسة وقع عظيم في النفوس لاسيما وان الامير بنى مدحهُ للمحتفل بهِ على تجملهِ بمكارم الاخلاق

ثم تليت قصائد كبار الشعراء على هذا الترتيب قصيدة احمد بك شوقي فقصيدة اسمعيل باشا صبري فقصيدة شبلي بك ملاط فقصيدة نقولا افندي رزق الله فقصيدة احمد افندي نسيم فقصيدة اسعد افندي داغر فقصيدة نعوم بك شقير فقصيدة حفني بك ناصف فقصيدة حافظ بك ابرهيم . وكل هذه القصائد من نفيس الشعر ولو تفاوتت حسب طبقات اصحابها وكان الحضور يستعيدون الكثير من ابياتها ويصفقون لها . وتلا الدكتور ابرهيم شدودي قصيدة من الزجل باللغة المصرية العامية اطربت الحضور ودلّت بالفصح بيان على ان « الزكل كله على المعنى » كما قالـــ الناظم والالفاظ قوالب المعاني . وكانت واسطة القصائد المنظومة قصيدة منثورة تلتها السيدة ماري زيادة كريمة الياس افندي زيادة صاحب جريدة المحروسة بعضها من انشاء جبران افندي خليل نزيل نيويورك وبعضها من انشائها . والفاظ ما تلتهُ وتراكيبهُ ومعانيهِ كل ذلك شعر بليغ لا ينقصهُ الاَّ الوزن والقافية . ولقد ابدعت في الالقاء والاشارات حتى خيل للحضور انهم يرون الشعر بالعين كما يسمعونهُ بالاذن ويدركونهُ بالعقل

وغير اغراض هذه الحفلة بعد اكرام المحتفل بهِ الدلالة على ارتباط القلوب بين الجارتين الشقيقتين مصر والشام . وقد كان لصاحب السعادة اسمعيل باشا اباظه الشأن الاكبر في اقامتها ولسليم افندي سركيس صاحب مجلة سركيس اليد الطولى في تنظيمها كما كان لدولة البرنس محمد علي اكبر فضل في جلالها ووقارها . فلهم الشكر الجزيل من رجال العلم والادب ومن كل الذين يودون اتحاد الامة العربية في جميع الاقطار

العلماء في المناصب السياسية

اذا تجرّدت السياسة عن الحيل والخداع فكل مناصبها تليق بالعلماء الذين قرنوا العلم بالعمل في ما يختارون لهُ ولذلك لم يكد

الاستاذ ولسن بتربع في رئاسة الجمهورية الاميركية حتى جعل يختار العلماء للمناصب فاعطى وزارة الزراعة للدكتور هوستن الذي كان رئيساً لكلية تكساس الزراعية من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٥ ولجامعة تكساس من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٨ . وجعل مساعداً لهُ المستر غالوي الذي كان رئيساً لقسم الباثولوجيا والفسيولوجيا الزراعيتين وكان قبل ذلك مساعداً في قسم زراعة البساتين في جامعة مسوري ولهُ كتب كثيرة في علم النبات وزراعة البساتين

اصل هنود اميركا

ان اكثر الباحثين في اصل هنود اميركا متفق على انهم لم ينشأوا في اميركا نفسها بل هاجروا اليها من شرق اسيا بعد العصر الجليدي . وقد ذهب الدكتور هردلكا الى سيبيريا ومنغوليا وبحث في طبائع اهلها وآثارها فوجد هناك من الادلة ما يثبت منهُ ان اهل هنود اميركا من شرق اسيا

الاستاذ سلابي

توفي الاستاذ سلابي في السادس من ابريل وهو مستنبط التلغراف اللاسلكي المستعمل في المانيا

الكتب المطبوعة والروايات

لقد يظن لاول وهلة ان اكثر الكتب التي تطبع في اوربا هي من نوع الروايات قياساً على ما يطبع عندنا لكن الامر على غير ذلك فان كتب الروايات لا تبلغ الا عشر ما يطبع من الكتب في اميركا وخمس ما يطبع من الكتب في انكلترا فقد طبع من الكتب الجديدة في اميركا ١٣٤٧٠ سنة ١٩١٠ و١١١٢٣ سنة ١٩١١ و١٠٩٠٣ سنة ١٩١٢ ومن الكتب التي طبعت سنة ١٩١٠ كانت الروايات ١٥٣٩ وكتب العلم والادب ٢٠٩١ والكتب الدينية واللاهوتية ٩٥٣ وسنة ١٩١١ قلّ عدد كتب الروايات فبلغ نحو الف فقط وزاد عدد الكتب العلمية والادبية وكذا سنة ١٩١٢

زنوج اوربا

انفع من البحث في آثار الانسان في اوربا ان الزنوج سكنوها قبل البيض والظاهر انهم رحلوا اليها من جهات الهند وان جيل الباسك في فرنسا هو البقية الباقية منهم

تكوّن المادة من نور النجوم

كتب الدكتور ڤري الفلكي مقالة في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ان الاثير يمتص الاشعة التي تبعثها النجوم فتتكون منهُ المادة واكثر ما يكون ذلك قريباً من المجاميع النجمية . فان قوة النور تؤثر في الاثير اذا امتصها فتجعلهُ يدور على نفسهِ في حلقات

صغيرة جداً لتكون منها الالكترونات ولا يبعد ان تكون هذه الحلقات نفسها هي الالكترونات السلبية والايجابية التي تتكون منها الجواهر الفردة . ثم تكون دقائق المادة من هذه الجواهر وتبقى منتشرة في الفضاء الى ان تمر بها النيازك فتضمها اليها . ولا تزال النيازك تفعل ذلك ويزيد حجمها حتى ينشأ منها جرم فلكي . وهو مذهب بديع في تولد المادة اشار اليه الدكتور قري منذ احدى عشرة سنة وسنفصله في جزء تالٍ

معونة الاساتذة

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي ارصد مبلغاً كبيراً من المال ليعطي ريعهُ معاشاً للاساتذة وارامل‍هم وايتامهم . وقد بلغ هذا المال في اواخر العام الماضي ١٤٠٠٠٠٠٠ ريال اي مليونين وثمانمئة الف جنيه مصري . وقد بلغ المال الذي اعطي من ريعهِ للاساتذة وارامل‍هم وايتامهم من حين ارصد سنة ١٩٠٦ الى اواخر العام الماضي ٢٣١٦٤٠٤ ريالات او ٤٦٣ الف جنيه

دخل المدارس الجامعة باميركا

بلغ دخل المدارس الجامعة في اميركا في العام الماضي من ريع املاكها ومما اعانتها بهِ الحكومة الاميركية الولايات ٣٥ مليون ريال ٥ ملايين ريال منها من ديوان المعارف و١٨ مليون ريال من الولايات والباقي وهو ١٢ مليون ريال من ريع الاملاك والهبات . وقد بلغ دخل جامعة الينويز ٢٣٦٣٧١١ ريالاً وجامعة منيسوتا ٢٦٨٢٤٩٩ ريالاً وجامعة ويسكونسن ٢١٢٢٢٩٧ ريالاً . ودخل جامعة كورنل اكثر من اربعة ملايين ريال . ويمثل ذلك تنجح المدارس الجامعة وتنجح البلاد التي في فيها

النظارة الكبرى

يراد عمل نظارة عاكسة لرصد جبل ولسن باميركا قطر مرآتها مئة عقدة انكليزية (بوصة) اي اكثر من مترين ونصف متر فتكون اكبر نظارة عاكسة صنعت حتى الآن . وقد صنعت هذه المرآة في فرنسا وارسلت الى كليفورنيا باميركا فوجدت غير وافية بالمراد وقد شرع المعمل الذي سبكها في سبك مرآة غيرها والمنتظر ان تكون المرآة الثانية على ما يرام فتصنع منها اكبر نظارة فلكية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في مدينة برمنهام من ١٠ الى ١٧ سبتمبر المقبل برئاسة السر اوليفر لدج . وقد عين رؤساء اقسامهِ وهم الدكتور باكر للرياضيات والاستاذ ورن للكيمياء والاستاذ غارود للجيولوجيا والدكتور غادو للزولوجيا والاستاذ دكسن

للجغرافيا والقس وكسنيد للعلوم الاقتصادية والمهندس امبنول للهندسة والسر رتشرد تمبل للانثرو بولوجيا والاستاذ غولد هكنس للفسيولوجيا والسيدة ايثل سارجنت لعلم النبات والرئيس غرفث لعلم التعليم والاستاذ ود للزراعة . فتعيين سيدة رئيسة لفرع من فروع هذا المجمع من الامور النادرة في تاريخ العلم

بركان اساما ياما في اليابان

في بلاد اليابان بركان يقال له اساما ياما مضت عليه نحو ١٣٠ سنة لم يثر ثورانا يذكر. ولكنهُ عاد الى الثوران سنة ١٩٠٩ ومن ذلك الحين الى الآن ثار خمس مرات . وفي ١٤ دسمبر سنة ١٩١٢ ثار ثورانا هائلاً فارتجت الارض حولهُ في دائرة مساحتها ١٦٠٠٠ ميل مربع وبقي يقذف الرماد يومين فغطى به ارضاً مساحتها ٢٥٠٠ ميل مربع

تذكار اللورد لستر

تألفت في بلاد الانكليز لجان لجمع المال لتقيم به تذكاراً للورد لستر . وسينفق بعض هذا المال على نقش صورة اللورد لستر في الرخام ووضعها بين تماثيل رجال الانكليز العظام في دير وستمنستر وبعضهُ على اقامة تذكار آخر في بعض الاماكن العمومية في مدينة لندن وبعضهُ يجعل جوائز يكافأ بها الذين ينفعون الناس باختراعاتهم واكتشافاتهم في الجراحة

وبر الجمال في المعامل

جعلت سيور الآلات في معمل بمدينة ملتون في الولايات المتحدة الاميركية من وبر الجمال عوضاً عن الجلد فبقيت عشر سنوات لم ينقطع سير منها . ويقال ان وبر الجمال اصلح من الجلد لهذا الغرض في المدابغ والمعامل التي تكثر فيها الرطوبة والحوامض الكيماوية التي تتجرّ في الهواء

التعليم وتقليل النسل

اثبتت السيدة الدرتن بالاحصاء ان عدد المواليد في بلاد الانكليز جعل يقلّ من حين صار التعليم العمومي الزاميًّا سنة ١٨٧٠ فان الوالدين الفقراء كانوا يستعينون على معيشتهم بتشغيل اولادهم وهم صغار السن فكان الاكثار من الاولاد ربحاً لهم فلما اضطروا ان يرسلوهم الى المدارس لم يبقَ لهم ربح منهم وصاروا عبئاً عليهم فجعلوا يهتمون لكي لا يكثر اولادهم

معهد كارنجي للبحث العلمي

بلغت نفقات معهد كارنجي في وشنطون على الابحاث العلمية في العام الماضي ١١٤٨٠٠٠ ريال او ٢٢٥٦٠٠ جنيه

اصل الحروف الهجائية

المذهب الشائع ان الفينيقيين هم اول من استنبط الحروف الهجائية . وقد اختلف الباحثون في كيف اتصل الفينيقيون الى استنباطها ومن اي شيء اشتقوها فذهب الميوده روجه الى انهم اشتقوها من الكتابة المصرية المعروفة بالهيراتيك لكن مذهبهُ نُقض الآن وذهب الاستاذ دلتزخ البرليني الى انهم اشتقوها من الكتابة الاشورية المسمارية . وذهب الاستاذ سايس الى انها سامية اصلاً وفرعاً نشأت في سورية وانتشرت منها في الاقطار . وذهب الاستاذ بتري في كتاب الفهُ حديثاً الى ان اصلها قديم جدًّا واكثرها تولد من العلامات التي كان الخزافون يرسمونها على الآنية التي يصنعونها

ما استعمل من الغاز سنة ١٩١٢

قدّر ما استعملهُ الناس من الغاز الصناعي سنة ١٩١٢ لاجل الاستصباح والطبخ والدفء بنحو ٦٢٠ الف مليون قدم مكعبة استخرجت من ٦٠ مليون طن من الفحم . واستخرج معها من هذا الفحم ٣٠ مليون طن من الكوك و٣ ملايين طن من القطران واكثر الناس استعمالاً للغاز الصناعي اذا قسم ما تستعملهُ كل مدينة على عدد سكانها هم اهل لندن ويليهم اهل استردام ثم برلين ثم نيويورك ثم باريس

سفينة من الخرسانة

بنيت في مدينة بلتيمور في اميركا سفينة من الخرسانة المسلحة (reinforced concrete) طولها ١١٢ قدماً وعرضها ٢٩ قدماً وعمقها ١٠ اقدام . وتخن جدرانها على جانبيها ٤ عقد وفي مقدمها ومؤخرها وقعرها ٦ عقد . وتحملها ٥٠٠ طن وستستخدم في نقل الرمل والحصى

نبات زراعي جديد

وزعت مصلحة الزراعة الاميركية على الفلاحين بزور نبات يقال لهُ دشين Dasheen لهُ جذور منتفخة كجذور البطاطس طعمها يقرب من طعم الفحم وتحتوي على مقدار كبير من الغذاء . وهو ينمو في البلدان التي لا تشتد حرارتها كثيراً ويمكن استعمالهُ طعاماً كما يستعمل البطاطس

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في اميركا في ٢٣ مارس الماضي خربت ١٥ بيتاً و١١ كنيسة في مدينة اوماها وقتلت من اهالي اوماها وتبرسكا ١٥٠ نفساً . وتلت الزوبعة امطار غزيرة ففاضت الانهر هناك وغمرت بعض المدن التي على ضفافها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

٤١٧ رجل السيف ورجل المال (مصوّرة)
٤٢٣ قوات الدول البحرية
٤٢٥ الاخلاق . لأمين افندي الريحاني
٤٣٦ اصول التعليم الحديث . لبولس افندي شحاده
٤٤١ الآثار المصرية
٤٤٥ المجاعات في الهند . لنجيب افندي ملحم نصار
٤٤٨ حساب العقود . لأحمد افندي رضا
٤٥١ الفلاحون والملاّك في اوربا
٤٥٨ جمعية الهلال الاحمر المصرية لاحد اطبائها
٤٦٣ الثري والفقير . لمصطفى افندي صادق الرافعي
٤٧١ القصيدة الهندية . لديمتري افندي خلاط
٤٧٦ دولة الروس (مصوّرة)
٤٨١ تمثالا الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات
٤٨٧ رصاصة في المخ . للدكتور هلال فارحي (مصوّرة)

٤٨٨ باب المراسلة والمناظرة * بحث لغوي في كلمة سيم
٤٨٩ باب الزراعة * البرتقال في كليفورنيا باميركا . كيف بدأت زراعة الذرة . الفروجين في الزراعة . القطن ونقص محصول السودان . مغازل القطن ومنشأ عمرانه
٥٠٠ باب تدبير المنزل * صغر القدم وضيق الفك . تربية السمع . واجبات النساء وحقوق الانتخاب . الزوجة وصيانة الحياة . طعام المريض
٥٠٧ باب التقريظ والانتقاد * الخطابة العربية . تحسين الصرف في الوجه البحري . تنوع الاجتماع . من امير الى سلطان
٥١٠ باب المسائل * وفيه ٩ مسائل
٥١٢ باب الاخبار السلفية * وفيه ٢١ نبذة

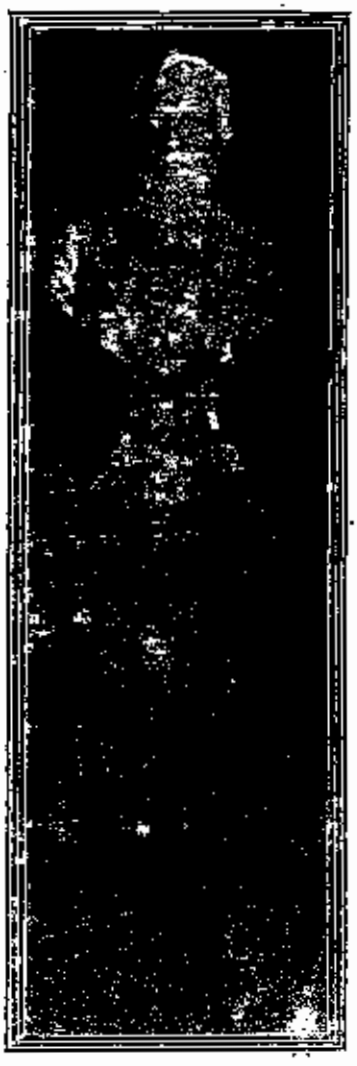

تمثال الدكتور فان ديك

تمثال الدكتور ورتبات